



جامعة الجزائر 2 – بوزريعة –

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية – قسم التاريخ

عهد المعزّ لدين الله الفاطمي في بلاد المغرب

(341هـ-362هـ/952م-973م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:

سعيداني زاهية

تحت إشراف:

الأستاذة الدكتورة: رافعي نشيدة

السنة الجامعية: 1438هـ- 1439هـ/2016م- 2017م

جامعة الجزائر 2 – بوزريعة –
أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية – قسم التاريخ

عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي في بلاد المغرب
(341هـ-362هـ/952م-973م)

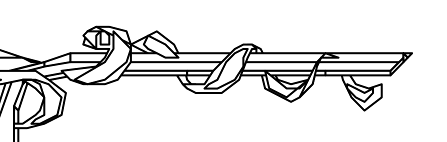
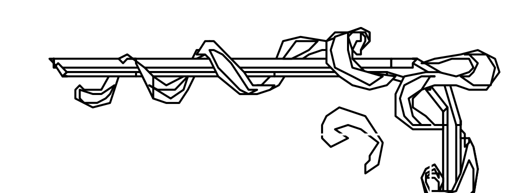
رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

أعضاء لجنة المناقشة:	
د . بوكنة عبد العزيز	رئيسا
د . رافعي نشيدة	مقررا
د . صاحي بوعلام	عضوا
د. هواري موسى	عضوا

إعداد الطالبة:
سعيداني زاهية

تحت إشراف:
الأستاذة الدكتورة: رافعي نشيدة

السنة الجامعية: 1438هـ-1439هـ/ 2016م – 2017م.

شكر وعرفان

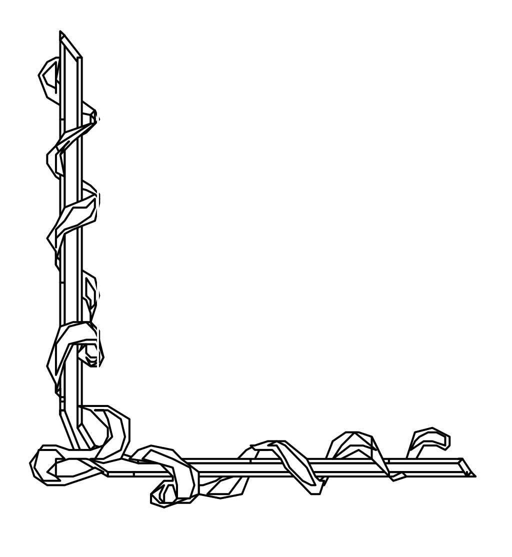
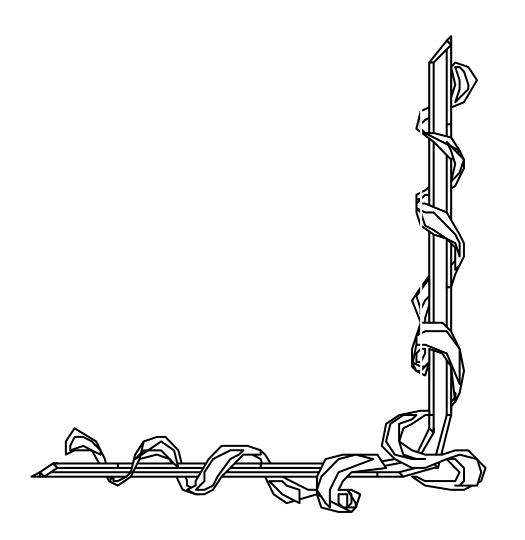
الحمد لله رب العالمين الذي جعل التوفيق والسداد منحة للمؤمنين، والصلاة والسلام على سيّد العالمين محمّد ρ وعلى آله وصحبه ومن استنّ بسنّته إلى يوم الدّين.

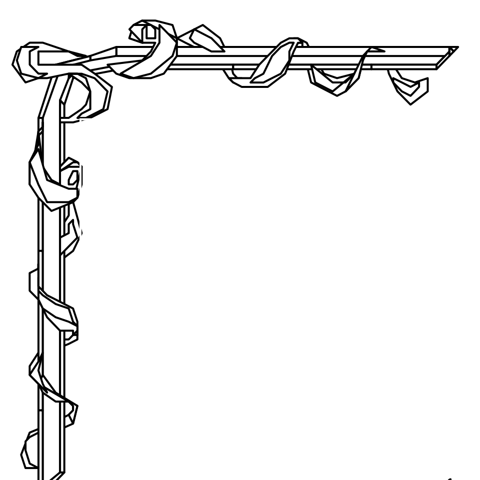
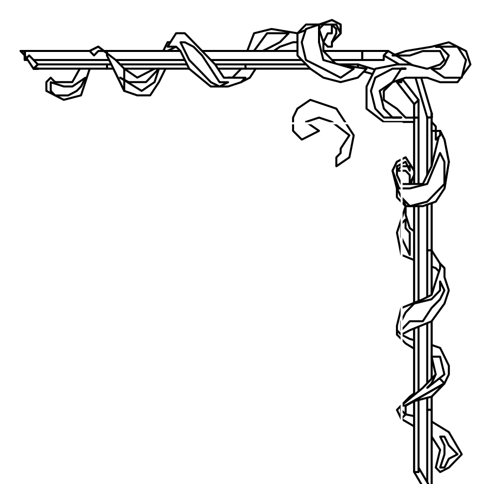
أما بعد: لزاماً عليّ أن أنسب الفضل إلى أهله وفاءً وعرفاناً اتقدم بأسمى عبارات الشكر وعظيم الإمتنان للأستاذة المشرفة الدكتورة نشيدة رافعي التي لم تتوانى في إرشادي وتوجيهي بالتعليمات المناسبة، فكانت نعم الموجه والناصح والمرشد فجزاها الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بتواضعهم وقبولهم مناقشة هذه المذكرة.

كما أتقدم بالشكر الدائم إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

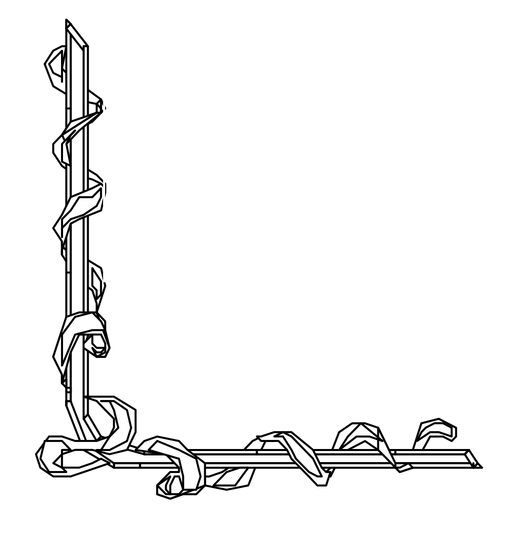
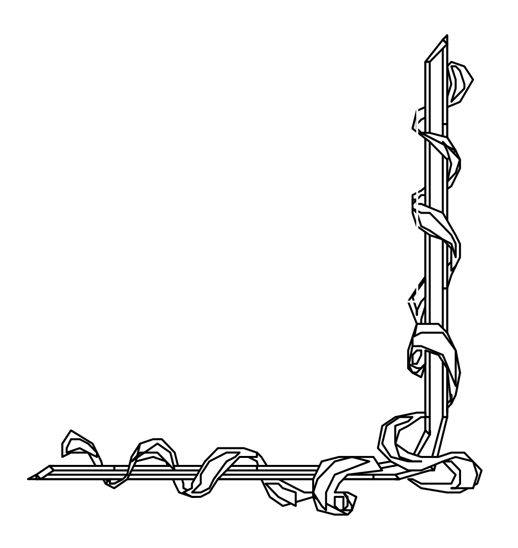
والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات.

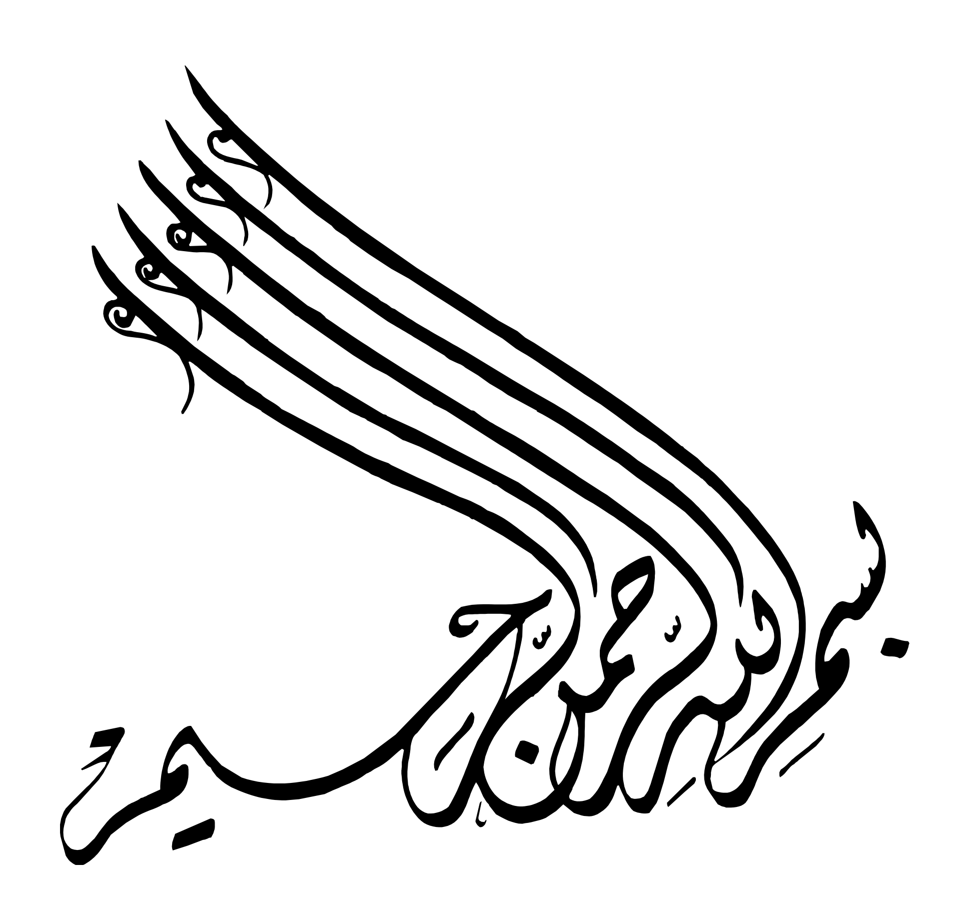



الإهداء

إلى المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها
إلى روح أمي الخالدة
أهديه إلى فلذة كبدي ونور عيني إبنتي هيبة
إلى من يشاركني حياتي وتحمل همومي، زوجي الغالي محمد
إلى جميع أفراد أسرتي وكل أصدقائي وإخواني


بسم الله الرحمن الرحيم


مقدمة

إنّ طبيعة بلاد المغرب وموقعها الجغرافي المتميّز، وكذا بعدها عن مركز الخلافة الإسلامية بالمشرق، جعل منها ملجأً ووفرت مناخاً خصباً للحركات المذهبية (شّيعة وخوارج)، التي تحولت إلى كيانات سياسية منها طائفة الشّيعة الاسماعيليّة التي أسست الدولة الفاطمية بقوى مغربية محلية، وتعتبر هذه الدولة أعظم دولة شّيعية في التاريخ الإسلامي وبلغت ذروة قوتها واتّساعها في عهد المعزّ لدّين الله رابع الخلفاء الفاطميين في المغرب وأولهم في مصر، وحدثت في عهده أول نقلة بشرية من المغرب إلى المشرق منذ قيام حركة الفتوحات الإسلامية فهذا الحدث الفريد يستحق الوقفة والتأمل، وليس مجال دراسة تاريخ هذه الدولة كاملا، وإنما يكون البحث حول عهد المعزّ لدّين الله في المغرب.

إشكالية الموضوع:

وجاء طرح الإشكالية التالية: ما هي مميزات عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي (341هـ-362هـ) ؟

تندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات: من هو صاحب هذه الشخصية التي غيرت مجرى تاريخ الدولة الفاطميّة؟ ما هي ظروف توليه الحكم؟ ما هي طبيعة علاقته بالقبائل البربرية؟ وما سياسته الخارجية؟ ما هي أسباب رحيل المعزّ إلى مصر وترك شؤون المغرب لقوة مغربية محلية (صنهاجة)؟ ما هي أسباب فشل بقاء الفاطميين في بلاد المغرب؟ ما هي مميزات الحياة الثقافية والعلمية في عهده ببلاد المغرب؟ ما هي آثاره وأهم إنجازاته؟

وقد حاولت الإجابة عن هذه التساؤلات في هذه المذكرة التي جاءت تحت عنوان:

"عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي في بلاد المغرب (341هـ-362هـ/952م-973م)"

أسباب اختيار الموضوع:

وحول دوافع اختياري لهذا الموضوع هناك عدّة عوامل جعلتني أخوض فيه قدما، منها:

أولا: أنّ الدولة الفاطميّة حضيت باهتمام المؤرخين المشارقة خاصة الباحثين المصريين الذين اهتموا بالجانب التاريخي لمصر في عهد الدولة الفاطميّة، وأنا كباحثة مغاربية أردت أن أسلط الأضواء على عهد المعزّ لدّين الله في بلاد المغرب الذي بلغت الدولة في عهده أوجها وتمكنت من تحقيق جميع أهدافها، والعودة إلى المشرق وبذلك حقق المعزّ حلم أسلافه بفضل مجهوداته الجبارة التي اتحدت بلدان المغرب تحت رايته رغم أنّها لم يكتب لها الديمومة.

ثانيا: حبي الكبير للتاريخ الإسلامي بصفة عامة وكل ما يتعلق به إذ هو أحد مكونات هويتي الأساسية، وتاريخ المغرب الإسلامي بصفة خاصة لإنتمائي لهذه المنطقة التي تشكل وحدة جغرافية وعرقية وحضارية واحدة.

ثالثا: رغبتي الملحة في دراسة تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية بصفة عامة والشّيعة بصفة خاصة فهذا ما جعلني أسلط الضوء على أهم مرحلة تاريخية للشّيعة في بلاد المغرب والتي سمحت لهم بتأسيس أكبر دولة لهم في التاريخ الإسلامي وهي الدولة الفاطميّة.

رابعا: محاولة الإلمام بالأحداث السياسية التي عرفتها منطقة المغرب خلال عهدها الإسلامي وذلك لإدراك وفهم حقيقة الصراع بين المذهبين السنّي والشّيعي، خاصة وأنه لا يزال قائما إلى حدّ الساعة.

وبشأن الدراسات السابقة فقد أعلمني مركز البحث والإعلام العلمي والتقني (CERIST) أنه لا توجد دراسة خاصة حول عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي في بلاد المغرب، وفي الواقع هناك الكثير من المؤرخين الذين كتبوا عن الدولة الفاطميّة ولكنهم لم يدرسوا عهد المعزّ بشكل دقيق، ممّا شجعني على المضيّ قدماً في الموضوع، وبالتالي الإسهام في تسليط الضوء على هذه الحقبة المهمة من تاريخ بلاد المغرب.

منهجية البحث:

اعتمدت في تحرير هذه الرسالة على المنهج التاريخي التحليلي والمقارن، فبعد جمع المعلومات التاريخية وانتقائها ثمّ تحليلها ومناقشتها ونقدها، ومن ثمّ محاولة الوصول إلى الحقيقة في إطار الموضوعية والحيادية والبعد عن التكرار والتعميم.

صعوبات البحث:

قد واجهت عدّة صعوبات أثناء البحث، وهذا بعضها:

أولا: عدم خلو المادة المصدرية من الذاتية والإنتماءات المذهبية والسياسية ممّا صعب علينا التعامل معها.

ثانيا: إنّ دراسة عهد المعزّ لدّين الله كانت شاقة ومجهدة خاصة وأن هذه الحقبة شاع فيها القلق والاضطراب السياسي، كما إن العقيدة الشّيعية الاسماعيليّة لم تحظ بالرواج بين المغاربة حيث واجهت العناد والرفض، كما لم ينعم الفاطميون بالاستقرار، نظرا لصراعاتهم مع القبائل البربرية وكذا مع حكام الأندلس.

خطة البحث:

جاءت هذه الرسالة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وببليوغرافيا.

الفصل الأول: عنونته أوضاع الدولة الفاطميّة في بلاد المغرب قبل عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي، قسمته إلى قسمين درست في القسم الأول قيام الدولة الفاطميّة في بلاد المغرب، وذلك بعد تخطيط دقيق ومحكم وسرية تامة للدعوة الشّيعية الاسماعيليّة في المنطقة، فتحدثت عن الداعيان أبي سفيان والحلواني اللذين نجحا في زرع البذور الأولى للدعوة، ثمّ عرفت بالداعي أبو عبد الله الشّيعي صاحب البذر فتحدثت عن أهم الأساليب التي اتبعها في نشر دعوته فكانت ثمرة المجهود الذي بذله قيام الدولة الفاطمية سنة 296هـ بإعلان خلافة عبيّد الله المهدي، ثمّ تطرقت إلى نسب الفاطميين وهي القضية التي أثار حولها المؤرخون جدلا كبيرا ولا تزال محل نقاش إلى يومنا هذا.

وفي القسم الثاني درست أبرز أحداث الدولة الفاطمية قبل عهد المعزّ، فذكرت الأئمة الفاطميون الثلاثة الأوائل الذين اعتلوا عرش الدولة قبل عهد المعزّ (عبيد الله المهدي، القائم، المنصور)، فتحدثت عن ولاياتهم وأهم إنجازاتهم ثمّ تطرقت إلى ثورة مخلد بن كيداد وهي أعنف ثورة عرفتها الدولة الفاطمية فكادت أن تقضي على كيانها وأركانها.

الفصل الثاني: حمل عنوان أجهزة الدولة الفاطمية وسياستها الداخلية في عهد المعزّ، وقسمته إلى ثلاثة أقسام تطرقت في القسم الأول إلى سيرة المعزّ لدّين الله، حيث حاولت الإلمام بكل ما يتعلق بسيرته فأوردت مولده ونشأته وبعض صفاته ومميزات شخصيته كما نقلتها لنا المصادر الشّيعية والسنية المعاصرة للفاطميين أو المتأخرة، ثمّ تحدثت عن ولاية المعزّ لدّين الله والظروف المحيطة بها.

في القسم الثاني درست أجهزة الدولة في عهد المعزّ، تناولت فيه النظام السياسي والإداري والنظام المالي ونظرا لأهمية الجيش في دولة محاطة بالتمردات والإنتفاضات كالدولة الفاطمية، عرجت على مؤسستها العسكرية فتحدثت عن الجيش البري والبحري من حيث تكوين عناصره ودوره في عهد المعزّ.

أمّا القسم الثالث درست سياسة المعزّ الداخلية ببلاد المغرب فتحدثت عن سياسته مع زعماء المغرب الأقصى وهما ابن وسول في سجلماسة وموسى بن ابي العافية في فاس ثمّ تحدثت عن سياسته مع قبيلة كتامة وزناتة وصنهاجة.

الفصل الثالث: حمل عنوان السياسة الخارجية للمعز لدّين الله الفاطمي وقسمته إلى ثلاثة أقسام أولا درست علاقاته في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتناولت فيه طبيعة علاقته بالخليفة عبد الرحمن الناصر الأمويّ بالأندلس والذي احتدم الصراع معه، ثمّ شخصت أوضاع جزيرة صقيلية خلال عهده وظهور قضية جزيرة كريت على مسرح الأحداث السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

ثانيا تطرقت إلى سياسة المعزّ مع الخليفة المطيع العباسي فركزت على حملة جعفر بن فلاح على بلاد الشام والتي أسفرت عن مصرعه سنة 360هـ بدمشق أثناء اصطدامه بالقرامطة

ثمّ ذكرت محاربة المعزّ للحسن الأعصم القرمطي (قائد القرامطة) رغم كونهما ينتميان إلى مذهب الشّيعي الإسماعيلي وأخيرا ذكرت إعلان الخطبة للمعزّ لدّين الله الفاطمي في الحجاز وخلع الخطبة للخليفة المطيع العباسي.

ثالثا تحدثت عن فتح مصر وانتقال المعزّ إليها، تطرقت فيه إلى العوامل التي ساعدته على فتح مصر ثمّ تحدثت عن الحملة على مصر ثمّ انتقاله إليها.

الفصل الرابع: والأخير جاء بعنوان لمحة عن النشاط الثقافي ومظاهر الحياة الاجتماعية في عهد المعزّ وقسمته إلى قسمين أولا درست دور المعزّ في النشاط الثقافي بإفريقية، ثمّ تطرقت إلى مراكز الاشعاع الفكرية الشّيعية ببلاد المغرب وهي رقادة، المهدية ، صبرة المنصورية والمحمدية (المسيلة)، لما لها من دور فعال في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية ثمّ ذكرت مشاهير الأدباء الفاطميين في عهده، وهم القاضي النعمان وابن هانىء الأندلسي (شاعر المعزّ) نموذجا.

أمّا القسم الثاني فتناولت فيه أبرز مظاهر الحياة الإجتماعية في عهده، وهي الختان الجماعي والأعياد الدينية.

وأخيرا الخاتمة وذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج تخص عهد المعزّ في بلاد المغرب إلى غاية انتقاله إلى مصر.

<u>تقييم المصادروالمراجع المعتمد عليها في البحث:</u>

إنّ الباحث في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي يجد أمامه مصادر متنوعة ومهمة تسرد تاريخ المنطقة، بعضها يتناول الأحداث بإسهاب والبعض الآخر يكتفي باختصارها، وليكتمل البحث التاريخي لابدّ من الاطلاع عليها جميعها وتتبع الأخبار والروايات الواردة فيها تتبعاً دقيقاً وعدم التسليم المطلق لها، كما يحتاج كلّ بحث في تاريخ الدولة الفاطميّة إلى التعرف على العقيدة الاسماعيليّة لفهم الأحداث ودوافعها هذا من جانب عام، ومن الجانب الخاص يستلزم

البحث في عهد المعزّ لدّين الله في المغرب الإحاطة الدقيقة بتاريخ كلّ من المشرق والمغرب والأندلس وأوضاعها في ذلك من جميع الجوانب.

وقد اعتمدت في ذلك على جملة من المصادر ذات علاقة بموضوع البحث وكان أبرزها:

أولا: كتب التاريخ

المصادر الشّيعية التي تحتل الصدارة في دراستنا كتب انبغ فقهاء الشّيعة الاسماعيليّة وأعلامهم هو أبو حنيفة القاضي النعمان بن محمّد بن حيون التميمي (ت 336هـ/974م)، الذي عاش لفترة طويلة وهو على مذهب السنة ثمّ انظم إلى الحركة الشّيعية الاسماعيليّة واعتنق مذهبهم، ودخل في خدمة الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي وهو معاصر لما سجله من احداث أثناء ملازمته لأشهر خلفاء الدور المغربي وهو المعزّ لدّين الله الفاطمي وما يهمنا من هذه المصادر:

1) كتاب **افتتاح الدّعوة** الذي يعد دراسة شاملة ومتكاملة عن الدّعوة الاسماعيليّة لا سيما في دورها المغربي، والتي تطورت إلى نظام الخلافة، وفيه اشارات عن تنظيمات الداعي أبي عبد الله الشّيعي وأمدنا بمعلومات ثمينه ومسهبة عن الحوادث التي وقعت أثناء حكم الخلفاء الفاطميين الأربعة الأوائل.

2) كتاب **المجالس والمسايرات** هذا الكتاب غطى الفترة الإفريقية من حياة المعزّ كلها تقريبا، ولم يتجاوز إفريقية معه إلى مصر، وأتاح لي التعرف على شخصية المعزّ من خلال كلامه وأفعاله، وكذا نجد في الكتاب صورة من الصعوبات التي لقيها الفاطميون في بسط نفوذهم المذهبي على المجتمع الإفريقي السنّي ولم تستقر دعائمه إلاّ بقوة أنصار الكتاميين، وقد أشاد المعزّ مرارا وتكرارا بفضل أسلافهم، اعتمدت كثيرا على هذا الكتاب لأنه أهم وثيقة تصلنا عن عصر المعزّ لدّين الله وجاء التعامل معها بشيء من التحليل والحذر لأنه يمثل وجهة النظر الرسمية للدولة.

3) كتاب **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** للداعي عماد الدين إدريس (ت 872هـ/1468م).

أهم المصادر المغاربية والتي يأتي في مقدمتها

4) كتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لإبن عذارى المراكشي(ت أواخر القرن السابع الهجري الموافق) يعد هذا الكتاب من أهم المصادر حيث أرخ فيه للدول التي حكمت في كلّ من المغرب والأندلس في العصر الوسيط، بذكر الأحداث التي شهدتها المنطقة مرتبة حسب السنين، وقد يشذ أحيانا عن هذا النهج ومن الأمثلة على ذلك أنه إذا أتى على مدينة مهمة فإنه يسرد تاريخها مفصلا، وقد أفادنا هذا الكتاب بكثير من المعلومات حول تاريخ الدولة الفاطميّة.

5) كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) تناول في هذا الكتاب أخبار الدولة الفاطميّة مبديا تعاطفه معها، ومن ذلك تسليمه بالأصل الشريف لهذه الدولة دون مناقشة لهذه القضية الشائكة التي اختلف حولها المؤرخون (قضية نسب الدولة الفاطميّة)، ودون تقديم أدلة علمية مقنعة على رأيه مكتفيا بالقول أن الناس مصدّقون في أنسابهم.

6) كتاب **أخبار بني عبيد وسيرتهم** لابن حمّاد الصنهاجي (548هـ-628هـ/1150م-1231م) وأفادنا الكتاب بالتعرف على الخلفاء العبيديين، وفيه يكتفي المؤلف بذكر الأحداث العامة في حياتهم دون الخوض في التفاصيل.

أمّا المصادر المشرقية فكثيرة والسّمة الغالبة عليها إهمال بلاد المغرب الإسلامي، وإن ذكرته فإنّها تذكره باختصار شديد وأهمها:

7) كتاب **الكامل في التاريخ** لابن الأثير الجزري (ت 630هـ/1232م) ويعتبر كتابه من الحوليات حيث يذكر الأحداث بالسنين وأهتم بتاريخ كلّ من المغرب والمشرق، وقد حفل الكتاب بذكر أخبار الدولة الفاطميّة ومؤيدا دعواهم في النسب الشريف.

8) كتاب **نهاية الأرب في فنون الادب** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732هـ/1331م)، هذا الكتاب قدم معلومات مهمة وغزيرة للأحداث البارزة التي زامنتها الدولة الفاطميّة وقدم أحداثها بشكل تفصيلي.

9) كتاب **اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الخلفا** لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ/1441م) أرخ فيه تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب والمشرق وقد خصّ كلّ خليفة منهم بترجمة وافية عن حياته. وامتاز كتابه بدقة المعلومات ووضوحها خاصة عند تعرضه لدور كتامة في الخلافة الفاطميّة.

10) وكتابه **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار** والمعروف اختصارا بالخطط، وهو كتاب خاص يصف عمارة مصر وصفا مفصلا، لكنه تضمن معلومات تاريخية مختصرة عن الدولة الفاطميّة سواء في مرحلتها المغربية أو بعد رحيلها إلى مصر، عاصر المقريزي ابن خلدون وتأثر به كثيرا، وقد أثار موقفه من الفاطميين جدلا حول ميوله المذهبية.

هذا بالإضافة إلى مصادر مشرقية ثانوية اعتمدت عليها منها:

11) كتاب **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لأبي المحاسن (ت 874هـ/1469م).

ثانيا: كتب الجغرافيا

لا يمكن للباحث أن يستغني عن كتب الجغرافيا، فالحدث التاريخي مرتبط بالزمان والمكان إضافة إلى أنّ كتب الجغرافية تحتوي على تفاصيل تاريخية مهمة خاصة المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية وأهمها:

1)كتاب **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) عرف في هذا المعجم الجغرافي الضخم مناطق العالم الإسلامي شرقها وغربها، وأثناء التعريف بها يورد المؤلف وصفا للمدينة وتحديداً لمكانها وشيئا من تاريخها مضيفاً في النهاية أسماء أبرز أعيانها إن وجدوا، وامتاز بوفرة معلوماته ودقة مادته، وهذا المعجم هو مصدري الأساسي في التعريف بالمدن والأماكن، وإن لم أجد غايتي فيه إنني كنت ألجأ إلى كتب جغرافية أخرى مهمة.

2)كتاب **صورة الأرض** لابن حوقل (ت 367هـ/977م) الذي زار بلاد المغرب الإسلامي في حوالي 330هـ/841م، فكتابه ذو أهميّة بالغة بالإضافة إلى وصفه الدقيق للمنطقة وحدودها الجغرافية.

3)كتاب **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** لأبي عبد البكري (ت487هـ/1094م) هو قطعة من كتاب المسالك والممالك.

4)كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للشريف الإدريسي (ت 560هـ/1165م).

5)كتاب **الروض المعطار في خبر الأقطار** لمحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت 710هـ/1310م)، وقد رتب فيه كتابة أسماء المدن والمواقع وغيرها حسب الحروف الهجائية معززا مادته بما تيسر له من روايات بشان المدن التي هو بصدد الحديث عنها.

ثالثا: كتب الطبقات والتراجم

تعتبر كتب الطبقات والتراجم مصادر تاريخية مهمة ليس فقط لترجمة العلماء والأعيان وإنّما لاستقاء المعلومات التاريخية المتنوعة في مختلف النواحي والتي يتعذر الحصول عليها من كتب التاريخ العام.

1)كتاب **سيرة الأستاذ جوذر** للجوذري (ت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) الذي هو من أهم شخصيات الدولة الفاطميّة في أيام المعزّ لدّين الله.

2)كتاب **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن خلكان(ت681هـ/1282م) افادني هذا الكتاب في تقديم تراجم وافية لأهم شخصيات السياسية والعلمية والأدبية التي ساهمت في أحداث الدولة الفاطميّة.

رابعا: المراجع

لقد اعتمدت على جملة من المراجع أهمها:

1)كتاب **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطميّة منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري** لموسى لقبال، وهذا الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس سنة 1973م، حيث تحدث فيه بإسهاب عن قبيلة كتامة وطبيعة علاقتها بالدولة الفاطميّة.

2)كتاب **السياسة الداخلية للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي** لمرمول محمّد الصالح.

3)كتاب **الخلافة الفاطميّة** في المغرب لفرحات الدشراوي.

4)كتاب **المغرب العربي من خلال خلافة المعزّ لدّين الله (341هـ-362هـ/952م-971م)** لصالح عمّار الحاج، هذا الكتاب في الأصل رسالة جامعية لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط من جامعة القاهرة سنة 2004م، حيث قدم هذا المرجع صورة واضحة عن بلاد المغرب الإسلامي في عهد المعزّ لدّين الله.

5)كتاب **المعزّ لدّين الله** لحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف الذي شخص لنا حياة المعزّ لدّين الله.

6)كتاب **الدولة الفاطميّة في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب** لحسن إبراهيم حسن الذي قدم لنا تفاصيل مهمة عن تاريخ الدولة الفاطميّة وإبداعاتها في المجالات الحضارية والثقافية، كما تطرق إلى سياسة الفاطميين مع الدول والأنظمة والقوى السياسية الأخرى.

كما تيسر لي الإطلاع على بعض المراجع الأجنبية والتي يأتي في مقدمتها:

7)**Le califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973** « histoire politique et institutions »"لفرحات الدشراوي fahat dachraoui"

8)**H.Terrasse, Histoire du Maroc des origines a l'établissement du protectorat Français, Edition Atlantide, Casablanca , 1949.**

كما اعتمدت على دائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية

(Encyclopédie de L'islam) في المواضيع المرتبطة بالشّيعة والمعزّ، والتي امكنتي من الإطلاع على أفكار مدرسة المستشرقين فاستفدت من أفكارهم وقارنت مع المصادر المرتبطة بالموضوع.

وبفضل الله والعزيمة وتوجيهات أساتذتي وخاصّة الأستاذة المشرفة الدكتورة رافعي استطعت تجاوز الكثير من العقبات، فإن التعامل مع هذا الموضوع ليس من السهل لسبب كثرة الأحداث وتداخلها ومع هذا حاولت جاهدة الإلمام بالموضوع وأملي أن أكون قد وفقت فإن أصبت فبفضل الله وحده وإن أخطأت فهو من نفسي المقصرة.

الفصل الأول:

أوضاع الدّولة الفاطميّة في بلاد المغرب قبل عهد المعزّ لدّين الله

أولا:قيام الدّولة الفاطميّة في بلاد المغرب

ثانيا:أبرز أحداث الدّولة الفاطميّة قبل عهد المعزّ لدّين الله

أولا: قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب

1) الدّعوة الفاطمية في بلاد المغرب:

نجحت الطائفة الشّيعية[1] الاسماعيليّة [2] في تأسيس الدولة الفاطمية[3] في بلاد المغرب الإسلامي سنة 296ه/909م بعد تخطيط دقيق وسّرية تامة.

يرجع كثير من المؤرخين حركة الدّعوة الاسماعيليّة السرية في بلاد المغرب إلى عصر سادس الأئمة العلويين جعفر الصادق حيث وصل أول تسلل شّيعي إسماعيلي في أواسط القرن 2ه/8م، قبل نحو 135 عام من وصول الدّاعي أبي عبد الله الشّيعي وهي بعثة الداعيين الحلواني وأبي سفيان، ووصلت إلينا تفاصيل بعثة ونشاط هذين الداعيين عن طريق التاريخ الرسمي للدولة الفاطمية (افتتاح الدّعوة للقاضي النعمان) أمّا عن أصلهما ومستواهما الثقافي لم تذكره جميع المصادر.

---

(1) هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب τ وقالو بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا ان الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره، وبتقّية من عنده، وقالو ان الإمامة ركن أهم، ويقولون بعصمة ائمتهم.أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992م، مج1، ص146.

(2) 'حسب زعمهم' نشأت في منتصف القرن الثاني ه / الثامن ميلادي في العراق كدعوة دينية من قبل الفقيه جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، مصر، 1995، ص15؛ الأعظمي محمّد حسن، عبقرية الفاطميين "أضواء على الفكر وتاريخ الفاطميين"، منشورات دار مكتبة الحياة، مصر، دت، ص11.الاسماعيليّة هم الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل، ونصّ عليه باتفاق من أولاده وانقسمت إلى فرقتين:

أ. فرقة منتظرة لإسماعيل الذي مات في حياة أبيه. أنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م، ص62-63. ذكر ابن حزم أنّ أتباع هذه الفرقة قالوا: "إنّه لم يمت إلاّ أنّ أبا، أظهر موته تقّية من خلفاء بني العباس وعقد محضراً واشهد عليه عامل المنصوريّة بالمدينة". الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمّد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط2، ج5، دار الجيل، بيروت، 1996م، ص38.

ب. فرقة قالت بأنّ الإمام بعد جعفر الصادق حفيده محمّد بن إسماعيل وأقرت موت إسماعيل في حياة أبيه. أنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص63.

(3) يسميها ابن حماد الدولة العبيدية ويسمى الخلفاء الفاطميين ببني عبيّد نسبة لمؤسس دولتهم عبد الله المهدي بدلاّ من الدولة الفاطمية، العلوية نسبة إلى علي وفاطمة، وهي التسمية التي يصر عليها الفاطميون إشعاراً بنسبهم العلوي الشريف(حسب زعمهم)، أخبار ملوك بني عبيّد، تح وتع: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م؛ أنظر:
G.Marcaiz, Art : Fatimides, EI, Paris, 1964, t2, p874.

ذكر ابن الأثير أن الداعيين قدما إلى المغرب سنة 145هـ /762م، وأمرهما جعفر الصادق أن يبسطا علم الأئمة، وينشرا فضلهم، فطلب منهما التوغل في بلاد المغرب حتى مضارب البربر وراء ولاية إفريقية والإنفصال عن بعضهما كلّ ذلك مبالغة في الحذر والتستر، وضماناً لتعميم الدّعوة، بسط جعفر الصادق إمام الداعيين رأيه في طبيعة البلاد المغرب ومدى استعداد سكانها لتقبل الأفكار الجديدة بقوله: «إذهابا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بوراً فاحرثاها، وكرباها، وذللاها، إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها»[1].

أ) الدّاعي السّفياني (أبو سفيان):

هو أبو سفيان الحسن بن القاسم، نزل بقرية زراعية في ناحية مرماجنّة[2]، يقال لها تالة[3]، فابتنى مسجدا وتزوّج إمرأة ثمّ اشترى آمة وعبداً، كان له من الفضل والعبادة والذكر في النّاحية ما قد اشتهر به ذكره، فأصبح أهل تلك النّواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت منه ويأخذونها عنه، فمن قبله تشيّع من تشيّع من أهل مرماجنّة، ومن مناطق أخرى[4] مثل الأربس[5]، وأهل نفطة[6]. لقد لعبت الحركة التجارية التي شهدتها مرماجنّة باعتبارها مركزا لإنتاج الحبوب، دورا هاما في تشجيع الكثير من التجار الوافدين من مختلف المناطق المجاورة الذين تأثروا بآراء أبي سفيان، ونقلوا آراءه وما شاهدوه منه أو سمعوه عنه إلى بلدانهم.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ج8، ص31.

(2) مدينة لطيفة بتونس كان بها في عصر محمّد بن يوسف الوراق، جامع وفندق وسوق، تقع في بساط مديد وتبعد عن القيروان بثلاث مراحل وعن سبيبة والأربس مرحلة. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص145.

(3) مدينة قديمة في الشمال الغربي من إفريقية، قريبة من الحدود الجزائرية التونسية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص111.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، تح: فرحات الدشراوي، د ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986م، ص27.

(5) مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة الغرب، ومن منطقة باجة إلى الأربس مرحلتان. أنظر: الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في القرن السادس هجري الثاني عشر هجري، حققه ونقله إلى الفرنسية محمّد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص483.

(6) مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير وأهلها شراة اباظية، بين نفطة ومدينة توزر مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، صص 27، 28.

وممّا له دلالة خاصّة على هذا الإتّجاه أن أبا سفيان انجد تاجرا نفطيا هلك بعيره في مرماجنّة حيث أعاره جملا بنيّة إعادته إليه مرّة أخرى، غير أن التّاجر استمر في نشاطه التجاري من باغاية[1] ونفطة واحتفظ بالبعير، ولم يرجعه إلى صاحبه حتى انقطع البّعير بحمله في إحدى اللّيالي عن القافلة، واتّجه نحو مرماجنّة حيث أناخ بقرب رباط أبي سفيان، فأرسل إلى التّاجر النّفطي ليأخذ أمتعته، فأتى إليه معتذرا وسدّد ثمن الجمل وبقي ضيفا في دار أبي سفيان حتّى باع التمر واشترى القمح[2]، ويذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار هذه الحادثة من جهة ما هي إلاّ ابتكار ووحي علماء الإسماعيلية، الذين يطيب لهم نسب الكرامات وخوارق العادات إلى دعاتهم الأوائل، ويصوّروهم في صورة الأولياء، ومن جهة أخرى يعترفون بصحّة مضمونها، انطلاقا من قسطيلية[3] تقع في أقصى ولاية إفريقية وأهلها يحتاجون إلى حبوب من شمال البلاد، وسكان الشمال لا يستغنون عن ما ينتجه جنوبها من تمور[4]، وكان التستر وراء التجار من بين الأساليب التي لجأ إليها دعاة الإسماعيلية، وأئمتهم سواء في بلاد اليمن أو في بلاد المغرب، وقد سار على هذا النحو عبيّد الله المهدي الذي تستر هو الأخر بالتجارة، عندما انتقل من الشام إلى مصر ثمّ إلى سجلماسة[5].

---

(1) امدينة كبرى في افريقية ذات أصول قديمة، تقع بجوار جبل الأوراس وهي على مسافة يسيرة من خنشلة. أنظر: البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د ت، ص50؛ البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، ط 1954، ج1، ص154.

(2) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص27–28.

(3) هي مدينة كبيرة في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة، عليها سور حصين، وبها تمر يجلب إلى إفريقية، لكن مائها غير طيب وسعرها غالي وأهلها شراة(خوارج) وهابية واباضية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص348؛ حسب البكري هي اربع مدائن توزر القاعدة والحامة وتقيوس ونفطة ولايعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان ولا رمال. المصدر السابق، ص48–49؛ أنظر: G.Yver, Art : Kastiliya,EI, Paris, 1927, t2, p856

(4) موسى لقبال، دور الكتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن خمسة هجري الموافق إحدى عشر ميلادي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص218.

(5) مدينة قديمة تقع في المغرب الأقصى وهي الآن عاصمة منطقة تافيلات، تبعد بحوالي ثلاثمائة وخمسة عشر كيلومتر جنوب شرق فاس، كانت تحت حكم بني مدرار المكناسيين دخلها أبو عبد الله الشّيعي سنة 296هـ/903م لإنقاذ عبيّد الله المهدي وابنه القاسم. أنظر: البكري، المصدر السابق، ص77؛ أنظر:

G.S.Colin, Art: Sidjilmasa, EI, Paris, 1934, t4, p419.

ب) الدّاعي الحلواني:

هو عبد الله علي بن أحمد المشهور بالحلواني، توغل في أرض البربر وبعيدا عن مرماجنّة وعن مجالها حتى أصبح على هامش أرض كتامة[1]، ثمّ نزل هناك موضعا سميّ الناظور بقرب سوق جمار، وأول عمل قام به هو بناء المسجد، ولا شك أن الهدف من ذلك استعماله مكانا للاتصال بالأتباع ونشر المذهب، حتى تسهل عليه الأمور اشترى آمة تساعده في شؤون البيت وفي دعوة النساء وخص نفسه بعبد يساعده في أعماله، وبفضل جهود واشتغاله بالتعليم والعبادة أصبح هذا الدّاعي مقصد سكان النّواحي من قبائل كتامة وسماته فعلى يده تشيّع الكثير منهم[2] .

والراجح من جهود الدّاعيين في هذه المرحلة المبكّرة من الدّعوة، أنّهما لم يقوما بالدّعوة بالمعنى المعروف في الاصطلاح الإسماعيلي، وإنّما قاما بشيء بسيط ومختلف، تمثّل في نشرهم محبّة أهل البيت وفضلهم الذي صاحبه دون شك نشر الأصول العامة للمذهب الشّيعي وهو الذي أطلق عليه القاضي النعمان "ظاهر علم الأئمة "[3].

وهكذا سينزل " صاحب البذر" في آخر الأمر أرضا محروثة، قد ظلّ أهلها من البربر منذ الفتح يتلقّون الآراء السياسية والدّينيّة الواردة من المشرق، وتأثّر عدد منهم من أبناء كتامة بالدّعاية الشّيعية التي بثّها فيهم الحلواني[4].

---

[1] كتامة: احدى قبائل البربر الكبرى، تشعبوا في بلاد المغرب، اكثر مواطنهم في ارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل الاوراس من ناحية القبلية(عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ج6، ص301). وانظر حول تعريف كتامة بالتفصيل موسى لقبال، المرجع السابق، ص92 ومابعدها. وانظر ايضا:
R.Basset, Encyclopédie de l'islam, Gp Maisonneuve, paris, 1975, p544.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص29.

[3] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، تعريب حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م، ص79-80.

[4] أيمن السيد فؤاد، الدولة الفاطمية بمصر، تفسير جديد، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1، 1992، ص46؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص140.

ج) الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي:

ارتبطت الدّعوة الاسماعيليّة في المغرب بنشاط أبي عبد الله الشّيعي، وقد اختلف المؤرّخون حول إسمه، فنجد ابن خلدون في العبر[1]، يذكر أن اسمه "الحسن بن أحمد بن محمّد بن زكرياء، بينما نرى المقريزي في اتعاظ الحنفاء[2] والقاضي النعمان في افتتاح الدّعوة[3] يسميانه "الحسين" مع الاحتفاظ بباقي النسب، كما وردت هذه التسمية في الكامل لابن الأثير[4] ووفيات الأعيان لابن خلكان[5]، ولم يقتصر إختلاف المؤرخين على إسم الدّاعي فحسب، بل شمل أيضا أصله فنجد من نسبه إلى صنعاء[6]، أمّا المقريزي فذكر أنّه من رام هرمز[7]، كما قيل أنّه من الكوفة. ويرجع الاختلاف إلى تحديد إسمه وأصله إلى طبيعة المهمة التي كلف بها، والتي تقتضي السرية التامة في كلّ تحركاته وأن لا يعرف الناس شيئا عن حياته. أخذ أسرار الدّعوة الاسماعيليّة عن الحسن بن حوشب الذي أرسله إلى المغرب، بعد أن اكتسب الدّاعي أبو عبد الله قدرا كبيرا من الدهاء والعلم، فقال عنه القاضي النعمان: "أنّه كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة، وكان أكثر علمه الباطن ونظر في علم الظاهر نظرا لم يبالغ فيه"[8].

---

(1) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، 2000م، ج3، ص451.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال أهم الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1996م، ج1، ص55.

(3) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 30.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ص192.

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص31؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ص192؛ ابن عذارى، البيان في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1983م، ج1، ص124. وصنعاء مدينة كثيرة الخيرات متصلة العمارات، وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهدا، ولا أكبر قطرا ولا أكثر ناسا وهي معتدلة الهواء، وبها كانت ملوك اليمن قاطنة، وكان بها قصر غمدان. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1409 هـ/ 1989م، ج1، ص53.

(7) هي مدينة مشهورة بإقليم خورستان، وهي صبة كبيرة بها أسواق عامرة وخيرات كثيرة وجامع بهي، وعندها أسواق في غاية الحسن بناها عضد الدولة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص79.

(8) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص59.

أمّا ابن خلكان فيقول عنه أنّه: "كان من الرجال الدهاة، أو الخبرين بما يصنعون فإنه دخل إفريقية وحيدا بلا مال ولا رجال.."[1]، ووصفوه أيضا أنّه" كان من دهاة العالم، وأكثر أفراد بني آدم دهاة ومكرا ورأيا، دخل إفريقية وحيدا غريبا فقيرا"[2]، وقال عنه المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان: "كان مصلحا دينيا من ذوي الشرف العظيم رجل ثقة عند المهدي حيث كان هذا الأخير يقول عنه أن لديه ميزات فريدة في الإنضباط والقيادة والتنظيم، ويفهم باطن الشيء ودبلوماسي أيضا"[3]، وبينما ورد في البيان أنّه:" كان ذا فهم وفصاحة وجدال ومعرفة"[4].

أن كلّ هذه الصفات السالفة الذكر كانت من بين أهم العوامل التي جعلته يختار لاستكمال الطريق الذي مهده له الدعاة الأوائل، وهي جديرة لتفوق ونجاح الدّاعي في إرساء قواعد الخلافة الفاطمية في المغرب، وقد اتصل أبو عبد الله بالحجاج الكتاميين[6] بمكّة، وعرف كيف يستميلهم، ونحن قد اشرنا فيما سبق إلى ما تميز به الدّاعي من صفات، وما تمتع به من حماس ديني، وفكر واسع وذكاء مبدع، ممّا جعله محطة إعجاب هؤلاء الكتاميين، وعندما نهض ليقوم قاموا معه وسألوه عن مكان رحلته، ليأتوه في الغد فحدثهم فأوسع في الحديث فازدادوا فيه رغبتا وعليه إقبالا[7]، ومن هنا يتضح لنا أن أبا عبد الله قد نجح من الوهلة الأولى في اجتذاب أولائك الناس وكسب ثقتهم، وما هذا إلاّ دليل قوي على مدى كفاءته وتأهيله للقيام بهذه المهمة، التي لا تستند إلاّ لأفذاذ الرجال من القادة، فقد شاءت الأقدار وأعدته ليلعب الدور

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ص192.

[2] الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح:أبوهاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1، ص133.

[3] André julien Charles, histoire de l'Afrique de nord , des origines a1830, paris, édition Payot, 1951-1969-1994, p391-392.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص124.

[5] يقدّر ابن عذارى عددهم بنحو عشرة رجال، وكانوا ملتفين على شيخ منهم. المصدر السابق، ج1، ص124؛ ويقول ابن خلدون إنّه لقي رجالات كتامة ورؤوسهم وفيهم من لقي الحلواني وابن بكار وأخذوا عنهما، المصدر السابق، ج 4، ص66؛ وحسب القاضي النعمان فقد كان من بينهم حريث الجميلي وموسى بن مكارمة وكانا قد اعتنقا مذهب الشّيعة على يد الحلواني. المصدر السابق، ص 34؛ ويذكر ابن الأثير بأن حريث الجميلي وموسى بن مكاد كانا من رؤساء الكتاميين.المصدر السابق، ج6، ص127.

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص63.

[7] إدريس عماد الدين، زهر المعاني، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991م، ص84.

الذي لعبه غيره من مؤسسي الدول للاعتبارات السابقة الذكر، فتمكن من استمالة هؤلاء على نحو يضللهم به عن شخصيته[1]، فلما سألوه عن بلده وعمله كان جوابه إنّه عراقي من رجال الدولة، وأنّه وجد أن خدمة السّلطة ليست من أعمال البر، وبعد التروي رأى أن كسب المال الحلال لا يأتي إلاّ عن طريق تعليم القرآن للصبية، فوهب نفسه لهذا العمل المبرور وقد نصحه أهل المعرفة بالمسير إلى مصر حيث يروج تعليم الصبيان[2]، وبما أنهم أعجبوا بشخصيته وباتساع ثقافاته، فقد ابتهلوا لذلك قائلين له: "نحن سائرون إلى مصر وهي طريقنا فكن بصحبتنا إليها"[3]، ورحل معهم في اتجاه مصر، وبأسلوبه المعروف في نشر أفكاره أخذ يتظاهر لهم في الطريق باللطف، الزهد والعبادة، فكانوا يسمعون منه كلّ يوم أمر جديدا، "ويستفتونه فيفتيهم"[4]، فمالت إليه قلوبهم واجتمع إليه كلّ من كان حاجا ذلك العام من كتامة، فأخذ يتعرف على أحوالهم وميولهم المذهبية، دون أن يفصح عن ما يضمره وما جاء من أجله عن طريق الأسئلة التي كان يطرحها عليهم، فستوفى منهم بعض المعلومات حول وضعهم السياسي، الاجتماعي والعسكري وعن حياتهم الثقافية، طبيعة علاقتهم في المنطقة، وكل ما من شأنه أن يفيد مهمته فقد سألهم عن العلاقة التي تربطهم بالأغالبة، ومدى طاعتهم للسلطان قائلا: " كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم؟"، فأجبوه: "ماله علينا من طاعة، ولا حكم أكثر من أن نقول إنّه سلطان"[5]، وعليه تمكن أبو عبد الله بفضل نباغته ودهائه، وقدرته على الحوار والمجادلة من التعرف على كلّ أحوالهم وما أراد الوصول إليه، وبدورهم ازدادوا عجابا به، الأمر الذي جعلهم يطلبون منه السير إلى بلادهم قائلين له: " لا نرى بلد واحد أجدى عليك بالتعليم

---

(1) عادلة علي الحمد، قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار مطابع المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1400هـ/ 1980م، ص94.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص125؛ عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي "تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين"، الإسكندرية، مصر، منشأة المعارف 1398هـ/ 1978م، ص540.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص120.

(4) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص35.

(5) إدريس عماد الدين، زهر المعاني، المصدر السابق، ص83.

من بلدنا، بل وأخبروه بتعظيم أهلهم للمعلمين"[1]، وواصلوا في الإلحاح عليه للسير معهم لكنه اعتذر لهم ببعد الشقة قائلا: " إن وجدت بمصر حاجتي أقمت بها، وإلاّ فربما أصاحبكم إلى القيروان"، وكان ذلك حيلة لحفز همتهم للتمسك به، والإصرار على أخذه معهم إلى بلدهم، ولدى وصولهم إلى مصر غاب عنهم لبعض الوقت، كأنه يطلب بغيته، فلما التقوا به سألوه قائلا: " لا بد لي من المقام بالقيروان لأطلب فيها حاجتي، فإن وفق فيها عرضي وإلاّ نهضت إليكم"[2]، وعندما رأوه عازما على المسير معهم سروا سرورا عظيما، "واتفقوا على مساعدته في الطريق بحمل مؤونته لكنه أبى فجمع له الدنانير لتقوي به نفسه، فامتنع عليهم بأخذها في لطف وشكر لهم فعظم في أعينهم، وزادت هيبته في صدورهم"[3]، فلما وصلوها "أظهر لهم أنّه يريد المقام، فأظهروا الغمّ لفراقه وقالوا: ما يقيمك هنا؟ قال: أطلب التعليم، فابتهجوا لذلك وقالوا: ما ترى أنك تجد بلدا أجدى عليك في التعليم من بلدنا "[4] ولكنه أظهر التمنّع رغبة منه في استمالتهم ولتكون رحلته معهم بإرادتهم وتحت حمايتهم فواصل معهم السير، ويذكر القاضي النعمان إنّه عند وصولهم إلى سوق جمار[5] استقبلهم رجال من الشّيعة وهم: أبو المفتّش وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبد الله الأندلسي، بسبب وجود صاحبهم معهم فاستضافوهم، وانتهز الدّاعي هذه الفرصة ليبدأ نشاطه فكشف عما في نفسه لبعض من وثق بهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق، وقال بأنه هو صاحب البذر الذي كان الحلواني يبشر به[6] ثمّ تابعوا رحلتهم حتى

(1) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص39.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص125.

(3) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص39–40؛ إدريس عماد الدين، زهر المعاني، المصدر السابق، ص85.

(4) ابن أثير، المصدر السابق، ج8، ص25؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص39.

(5) جعلها النعمان من أرض سُماتة، المصدر السابق، ص40. ويُسمّيها ابن الأثير بـ" سوق حمار"، المصدر السابق، ج6، ص126–127؛ وهي عند ابن خلدون " سوق جمار "، المصدر السابق، ج 4، ص65.

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص42 فما بعدها من عدّة صفحات.

وصلوا حدّ كتامة في 15 ربيع الأول 280 هـ[1] /ماي- جوان 893م، ولم يستقرّ إلاّ في فج الأخيار الواقع في جبل إيكجان[2] حيث نزل على بني سكتان[3]، وهناك وجد أرضا خصبة لنشاطه السياسي والدّيني فبدأ يدعو لآل البيت[4]، واستطاع أبو عبد الله أن يؤثر في الناس بحلاوة لفظه[5] فأقبل النّاس على دعوته[6] ومن دخل في دعوته نسب إليه فقيل له "مشرقي" وسمّي أتباعه "المشارقة" بينما سمو أنفسهم "إخوانا"[7]، وشاع الخبر بين الناس أنّه يدعو إلى أمر مكتوم وأن من دخل فيه لم يظهر منه شيئا ولو لأخص الناس به، ويكتفي بعبارة " أبلغ توقن" كجواب لمن تسأله عما دخل فيه وما قيل له، غير أن هذا الأسلوب في الدّعوة أدى إلى قيام نوع من المعارضة أو على الأقل اتّخذه المعارضون حجّة لهم وصاروا يقولون "لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستر، وما هو إلاّ خلاف دين الإسلام"[8].

---

(1) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص47؛ ويوافق القاضي النعمان في هذا التاريخ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص127؛ لكن وصوله حسب بعض المصادر كان في 15 ربيع الأول سنة 288هـ/ فيفري – مارس 901م. أنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص56؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص66.

(2) هو دار الحجرة الأولى موضع حريث موسى من بني سكتان حيث فج الاخيار.أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص48؛ ويتفق مع القاضي النعمان في هذه التسمية المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص57؛ وتسمّيه مصادر أخرى "إنجان" أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص127؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص67؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص7.

(3) ابن حماد، المصدر السابق، ص47؛ ويسميهم المقريزي بني سليمان، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص56؛ وهم حسب القاضي النعمان قوم موسى وحريث، المصدر السابق، ص 48.

(4) حسب ابن عذاري فإن أبا عبد الله الذي تخلّف عن الحجاج في القيروان سار إلى كتامة بعدما تأكد له أنها أقوى القبائل ونزل على شيخ الكتاميين الذين رافقوه من مكّة، وصار يعلّم الصبيان وصلّى بالناس ولما قدم له الشيخ أجرة تزيد عن أربعين دينارا، اعتذر عن قبولها وطلب منه أن يساعده في الدّعوة لآل البيت انطلاقا من الخاصة من بني عمّه الأقرب فالأقرب. المصدر السابق، ج1، ص126 –127؛ حسب القاضي النعمان فإنه وصل ايكجان برفقة حريث وموسى وأبي القاسم الورفجومي وأبي عبد لله الأندلسي، وأرسل الحجاج الآخرين إلى كلّ مكان، وأقبل الناس إليه فكان يجلس لهم ويحدّثهم بظاهر فضائل عليّ والأئمّة من بعده فإذا أحس في الواحد ما يريد القى فيه شيئا بعد شيء حتى يجبه فيأخذ عليه العهد بأن يكتم سرّه. المصدر السابق، ص49.

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص128.

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص49 فما بعدها من عدّة صفحات.

(7) كان إذا دعا أحدهم قال: يا أخانا، وكانوا يتداعون بينهم كذلك. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص52.

(8) نفس المصدر، ص53.

ومن أعماله قبل غزوه لرقّادة، الغاء صلاة التراويح في شهر رمضان، بحجّة أنها ليست من سنّة النبيّ ρ، وإنّما سنّها عمر τ، وعوّضها بتطويل القراءة في صلاة العشاء الأخيرة[1]، وإنقسم عليه الكتاميون إلى مؤيّد[2] ومعارض[3] وقام نزاع مسلّح بينهم، ولمّا انتصر المؤيّدون على المعارضين وأخضعوهم دخل الشّيعي في صراع مباشر مع الدولة الأغلبية[4] وأخذ يستولي على مدنها الواحدة بعد الأخرى إلى أن سقطت عاصمتها رقّادة في يده يوم السبت 1 رجب 296هـ مارس أبريل 909م بعد فرار أميرها زيادة الله[5] إلى مصر[6]، وبمجرّد سقوط الدولة الأغلبية أخذ أبو عبد الله يعمل على توطيد سلطته في البلاد، فاتخذ بعض الإجراءات السياسية والاقتصادية والمذهبيّة، منها أنّه أمر مناديا فنادى في القيروان بالأمان التام للعامَّة، ورجوع من كان تنحى عن وطنه إليه، فرجع الناس إلى وطنهم..وأخرج العمّال إلى البلدان ونادى فيها بالأمان وطلب أهل الدعارة والفساد... وقتلوا حيثما ثقفوا[7]، وأمر بجمع ما تركه زيادة الله من

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص127.

(2) من بين مؤيديه بنو سكتان، الذين نزل عليهم. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص83 فما بعدها من عدّة صفحات.

(3) من بين معارضيه يذكر القاضي النعمان فتح بن يحيى المسالتي ويقال له الأمير، ومهدي بن أبي كناوة رئيس لهاصة وفرح بن جيران رئيس أجانة وأبو تمتم فحل بن نوح رئيس لطّية، وزيادة الملتوسي بالإضافة إلى عمال الأغالبة موسى بن عيّاش صاحب ميلة وعليّ بن عسلوجة صاحب سطيف وحيّ بن تميم صاحب بلزمة.المصدر السابق، ص79- 80.

(4) دولة الأغالبة: (184هـ-296هـ/799م-908م) اسسها إبراهيم بن الاغلب التميمي سنة 184هـ، وأعلن الولاء للعباسيين وتوارث ابناؤه من بعده الملك، ازدهرت القيروان في عهدهم، انتهت على يد ابو عبد الله الشيعي سنة 296هـ/908م؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص55.

(5) هو أبو مضر زيادة الله الثالث بن ابي العباس عبد الله بن إبراهيم بن احمد بن الأغلب لما إنهزمت عساكره في الاربس سنة 296هـ امام جيوش ابي عبد الله الشيعي فرّ الى المشرق، كان آخر امراء بني الأغلب في إفريقية. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص205؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص130 وما بعدها من عدّة صفحات.

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص234؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص74؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص149.

(7) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص246؛ قارن مع ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص459.

جواري وسلاح ودواب ومال[1]، وبضرب السكّة، ولم ينقش فيها اسما لأحد[2] وبأن يزاد في الآذان بعد حي على الصلاة "حيّ على خير العمل"، وأسقط من آذان الفجر "الصلاة خير من النوم"[3] ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالصلاة على محمّد وعلى اله وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء[4]، ففعلوا ولم يذكر اسما لأحد[5]. ولما استقرّت أمور إفريقية، استخلف على رقّادة أبا زكي تمّام بن معارك الأجّني وأقام معه[6] أخوه أبو العباس[7]، وقصد سجلماسة في رمضان من سنة 296هـ[8] /مايو- يونيو 909م، لإنقاذ الإمام عبيّد الله[9] وكان قد بعث إليه يخبره بما حققه من انتصارات وأنّه في انتظاره[10]

(1) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص247؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص459 ؛ ونقش فيها "الحمد لله ربّ العالمين"حسب ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص48.

(2) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص250؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص459؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص151.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص151.

(4) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص249-250؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص151.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص459.

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص275.

(7) كان عبيّد الله قد أرسله من طرابلس إلى أرض كتامة. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص151-152؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص129؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص71؛ ولما مرّ بالقيروان القى عليه القبض زيادة الله وحبسه، ثمّ هرب وتسلل إلى طرابلس وتمكّن منه زيادة الله، لكنّه أطلق سراحه. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص260.

(8) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص236؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص133؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص152.

(9) أوردت المصادر آراء كثيرة ومختلفة حول اسمه ونسبه، عن هذا الموضوع أنظر: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص301. ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص70؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: محمّد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998، ج2، ص152؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص124؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص158؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص169؛ ابن الأبّار، الحلّة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1985، ج1، ص175؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مصر، ط3، 1964، ص57 فما بعدها من عدّة صفحات.

(10) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص70؛ ابن الأثير: نفس المصدر، ج6، ص.130.

فخرج من سلميّة[1] في الوقت الذي اكتشف بنو العباس أمره وطلبه الخليفة المكتفي[2]، وانتهى به المطاف إلى سجلماسة[3] حيث القى عليه القبض أميرها اليسع بن مدرار وسجنه[4]. وعندما أخبره زيادة الله بأنه المهدي الذي يدعو إليه الشّيعي[5]، وقد مرّ أبو عبد الله بطبنة[6] حيث أوقع بقبائل عرضت في طريقه اتصل به عنها سوء حال[7]، وقضى على الدولة الرستميّة[8] بالاستيلاء على تاهرت[9] ولمّا قرب من اليسع حاول أن يدخل معه في مفاوضات

---

[1] مدينة صغيرة ببلاد الشام تقع جنوب مدينة حماه على بعد حوالي 40كلم وشمال شرق حمص على بعد 50كلم، وهي مدينة في البرية كان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب قد ابتناه وبموجب موقعها الجغرافي المعزول، اصبحت منذ سنة 250ه المركز السري للإمام المكتوم وللدعاية الاسماعيليّة ومنها توجه الدّاعي الشيعي الى اليمن والمهدي الى المغرب. أنظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص39-40؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، المصدر السابق، ج1، ص731؛ J.H.Kramers, Art : Salamia, EI, Paris, 1934, t4, p96.

[2] هو عليّ(المكتفي بالله) بن أحمد المعتضد بن الموفّق بن المتوكّل، أبو محمّد، عاش ما بين 264-295هـ/876-908م، وتولى الخلافة سنة 289ه /901-902م. أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح: أحمد إبراهيم زهوة وسعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص291- 292.

[3] حسب ابن حماد فإنه وصلها يوم الأحد 7 ذي الحجّة سنة 296هـ/أوت . سبتمبر 909م، المصدر السابق، ص7؛ ممّا يتعارض مع ماذكره ابن عذاري بأن عبد الله الدّاعي كتب إلى عبيّد الله وهو بسجلماسة يعلمه بانتصاره على جيش إبراهيم بن حبشيّ، ووجّه إليه بمال كثير ستة 292هـ/905.904م. المصدر السابق، ج1، ص138 .139.

[4] هو اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن سمغون بن مدلان المكناسي. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص157. تولى إمارة سجلماسة سنة 270هـ/883-884م، حسب ابن أبي دينار فقد كان عاملا لبني الأغلب. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة تونس، 1286ه، ص55.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص130. المقريزي، المصدر السابق، ص62.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص130؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص62؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص72.71

[7] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص236.

[8] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص236-237؛ يرى القاضي النعمان أنّ هذه القبائل قدّ تكون أهل تاهرت وأصحابها من بني رستم. المصدر السابق، ص236؛ حظيت الدولة الرستميّة بتيهرت باهتمامات بعض الباحثين، نذكر منهم على سبيل المثال: بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستميّة(160- 296هـ/ 777- 909م)، دراسات في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبوعات لافوميك، الجزائر، 1985.

[9] ابن عذاري، البيان، ج1، ص153؛ الخشني، طبقات علماء إفريقية، تق وتح: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993 ، ص94.

لكنّه فشل[1] وانتهى الأمر بقيامه بهجوم على المدينة وتمكن من اكتساحها وتخليص الإمام وابنه من السجن[2] ومنذ ذلك الوقت تسلّم عبيّد الله زمام الأمور[3]، لينتهي بذلك دور السّتر الذي بدأ بمغادرة أوّل أئمّتها(محمّد بن إسماعيل) المدينة المنوّرة، نحو نيسابور وانتهت بظهور عبيّد الله(296هـ/909م) [4] ، ولا يُمثّل قيام الدولة الفاطمية نهاية للدّعوة التي امتدّت إلى خارج المملكة، حيث بقيت تمارس نشاطها داعية للإمام، وبقي الإمام(الحاكم) مهوى أفئدة مريديه، سواء أكانوا داخل الدولة أو خارجها.

2) نسب الفاطميون:

إن لفظ الفاطميين الذي عرف به أولاد عبيّد الله المهدي يشعر في بادئ الرأي أنّهم من أولاد فاطمة بنت الرسول ρ فهم علويون أيضا، على أنّ مسألة نسب هذه الأسرة كانت ولا تزال موضوعا كثرت فيه آراء جمهور الكتاب والمؤرخين الأقدمين والمحدثين لما كان من انحياز الكتاب العرب إلى القول بما يوافق نزعاتهم السياسية وميولاتهم الدّينية بعيدين عن الحقيقة[5]. اختلف المؤرخون في نسب عبيّد الله المهدي اختلافا كبيرا فهناك جماعة يرون صحة نسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وجماعة ينكرون هذا النسب ويؤيدون نسبه إلى ميمون القداح أو موسى الكاظم، وبهذا نجد أن المؤيدين لنسب عبيّد الله المهدي إلى فاطمة وعلي ثلاثة

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص238؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص65؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص75؛ حسب الحاجب جعفر فقد راسل اليسع في إخراج المهدي وضمن له الانصراف عن بلده عن الموادعة فامتنع وضيّق عليه وسيق عن المينة بالحرب، اليماني، سيرة الحاجب جعفر، نشر ايفانوف، مجلس كلية الاداب، الجامعة المصرية ، القاهرة، 1936م، ج1، ص124.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص531.حسب بن خلّكان فإنه لما بلغ اليسع خبر وصول جيش أبي عبد الله قتل المهديّ في السجن ثمّ هرب ودخل الشّيعي السجن فوجد المهديّ مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينقض عليه ما دبّره من الأمر إن عرفت العساكر بقتل المهديّ فأخرج الرّجل إلى العساكر وقال هذا هو المهديّ. وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج2، ص302-303.

[3] بن عميرة محمّد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص171.

[4] المقريزي، اتّعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص4؛ محمّد كامل حسين، طائفة الاسماعيليّة "تاريخها، نظمها وعقائدها"، مكتبة النهضة المصريّة، ط1، 1959، ص25.

[5] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص57.

طوائف، طائفة تقول إنّه إمام من الأئمة الإثنيّ عشرية، وطائفة تنسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وجماعة من السنيين يرون صحة نسبه للإسماعيليّة[1]، ومن المؤرخين المؤيدين لهذا الرأي ابن الأثير، المقريزي وابن خلدون حيث يؤكد هذا الأخير صحة النسب بدليل مادي تمثل في كتاب الذي ارسله المعتضد(279هـ-289هـ) إلى ابن الأغلب بالقيروان وبني مدرار بسجلماسة يأمر بالقبض على الثائر العلوي الذي سار من الشام إلى المغرب[2]، ففي هذا الكتاب اعتراف بالثائر العلوي، وأمّا الطاعنون في نسب عبيّد الله المهدي فهم قلة من الاسماعيليّة انفسهم والغالبية العظمى من السنيين الذين ينسبونه إلى ميمون القداح بن ديصان ومن هؤلاء ابن خلكان وابن عذارى وابن كثير، حيث استند هذا الأخير في رأيه على المحضر الذي وقعه جماعة أهل السنّة والشّيعة في بغداد 402هـ[3] الذي ينكر نسب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب τ، فيقول ابن كثير: "...وأما ما تقدم من سلفه ادعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب. .."[4] . ومهما تضاربت الارآء حول مسألة نسب الفاطميين، فإن قيام الدولة الفاطمية يعتبر أهم حدث عرفته الدولة الاسلامية بفضل جهود العديد من الدعاة لاسيما الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي لما كان له من دور فعال في إرساء قواعد دولة المهدي.

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص57.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص464.

(3) كتب هذا المحضر التاريخي ببغداد لإنكار نسب الفاطميين وقع عليه جماعة من الأشراف والقضاة والعلماء والفقهاء والمعدلين والصالحين منهم العلويين المرتضي وأخوه الرضا وابن البطحاوي العلوي وغيرهم، وشهدوا جميعا ان الناجم بمصر (هو منصور بن نزار الفاطمي الملقب بالحاكم بن معد بن إسماعيل) وأتباعه أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن ابي طالب، ولا يتعلقون منه بنسب، وان الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور. أنظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص98.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ /1990م، ج11، ص421.

ثانيا: أبرز أحداث الدولة الفاطمية قبل عهد المعزّ لدّين الله

1) الأئمة الفاطميّون:

أ) عهد عبيّد الله المهدي(297 هـ- 322هـ/ 909م- 934م):

أثار المؤرخون جدلا حول نسب عبيّد الله[1]، ويرجع ذلك إلى مبدأ التقيّة وما ترتب عليها من حياة السِّتر والكتمان التي عاشها الأئمة في حالة الغيبة[2]، فالروايات التي تُعرض لعبيد الله شابا، لا تُعرّف بشيء عن شخصه، أو عن صفاته وهو ولي العهد للإمامة. ويذكر المثبّتون للنسب الفاطمي اتّصال نسب عبيّد الله بإسماعيل بن جعفر الصادق[3]، فيذكرون أنّه: أبو محمّد سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن إسماعيل[4] .

---

(1) أوردت المصادر آراء كثيرة ومختلفة حول اسمه ونسبه، عن هذا الموضوع أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 301؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص70؛ المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص152؛ ابن الاثير، الكامل، ج6، ص124؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص24؛ المقريزي، اتّعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص24 فما بعدها؛ ابن الابار، المصدر السابق، ج1، ص175؛ آراء الاسماعيليّة مختلفة في اسمه فالكثير من الاسماعيليّة يسمّونه عبد الله؛ الكرماني، راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص27 ؛ والبعض يسمّيه سعيد الخير. القاضي النعمان، المصدر السالبق، ص249؛ إدريس عماد أهم، زهر المعاني، المصدر السابق، ص66؛ إدريس عماد أهم، عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الرابع، والخامس والسادس، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1984، ص89؛ والبعض من المتأخرين منهم من يسمّيه بمحمد. أنظر: مصطفى غالب، تاريخ الدّعوة الاسماعيليّة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، دت، ص101.

(2) دور الستر يبدأ بمغادرة أوّل أئمّتها محمّد بن إسماعيل، المدينة المنورة، نحو نيسابور خوفا من مراقبة الخليفة العبّاسي الرشيد(170-193هـ/786-809م)، انتهت بظهور عبيّد الله(296هـ/909م) . أنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص4؛ محمّد كامل حسين، المرجع السابق، ص25.

(3) عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص57.

(4) أهم سلاسل النسب عند مؤيّدي نسب عبيّد الله لإسماعيل. أنظر: إدريس عماد أهم، المصدر السابق، ص64؛ وأورد ابن خلدون سلسلة تبدأ بمحمد المكتوم، أوّل أئمّة السّتر، ثمّ ابنه جعفر المصدّق، ثمّ ابنه محمّد الحبيب، ثمّ ابنه عبيّد الله. المصدر السابق، ج4، ص39؛ وهو نفس ما ذكره المقريزي، اتّعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص17-18.

ويعتبره المنافون لنسبه الفاطمي إنّه: سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح[1] إذ لما توفي عبد الله بن ميمون القداح، ادّعى ولده البنوة، والت إليه الزعامة منذ مات أحمد بن عبد الله سنة 280هـ[2] فآلت إليه تبعا لذلك رتبة حجّة الإمام المستور، مع العلم أنّه ولد سنة 259هـ أو 260هـ، وأنه كان تحت وصاية عمه أبي الشلعلع بن عبد الله القداح؛ ورث قدرة تنظيم كبيرة عن عمه وصهره، أحمد بن عبد الله، كما عرّفه أبوه الحسين أسرار الدّعوة من قول وفعل، وأين الدعاة، وأعطاه المال والعلامات، وأوصاه"إنك ستهاجر بعدي هجرة كبيرة، وتلقى محنا شديدة "وشاع خبره أيام المكتفي[3]، وجاء وصفه عند ابن الآبار بالنجدة والشهامة ومفوها فصيحا، وعالما أديبا[4] ووصفه القاضي النعمان بالكرم والجود بالمال في حدود الاعتدال، مع الضبط والحزم، إلى جانب حب العدل[5]، ويلبس النفيس من فاخر الثياب يفوح منه أريج الطيب، وهو قليل الاكتراث لحديث المنجمين فيما يحددونه من أوقات السعد والنحس، تلازمه كتبه في الحل والترحال[6].

---

[1] اختلفت الآراء اختلافا كبيرا، عند الحديث عن ميمون القدّاح، فيذكرون إنّه كان فارسيّا مجوسيّا من الأهواز، وأنّ تظاهر بالإسلام والتشيّع والدعوة لآل البيت فقبض عليه، وأودع سجن الكوفة في أواخر عهد المنصور، وبعد خروجه من السجن ادّعى أنّه من ولد محمّد بن إسماعيل بن جعفر، إلى أن نجحت دعوته في عهد أولاده الخلفاء الفاطميين أنظر مثلا: الحمّادي اليمني، كشف أسرار الباطنيّة وأخبار القرامطة، مركز الدّراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1994 ، صص16-20؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، صص 266 -274-277-278؛ عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدّعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض، ط3، 1983، صص33-173.

[2] جاء في دائرة المعارف الإسلاميّة، أنّ أعداء الخلفاء الفاطميين التقليديين، صرّحوا بأنّ أبناء الأسرة الفاطمية أدعياء ومغتصبين لا ينتسبون إلى عليّ وفاطمة، بل أنّ عبيّد الله هو" ابن الحسين بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن ميمونة القدّاح، وأنّ اسمه الحقيقي هو السّعيد إلاّ أنّه غيّره أثناء وصوله إلى المغرب، فأخذ لقب المهدي وادّعى بأنّه علويّ. عن مشكلة النسب الفاطمي. أنظر: رشاد الإمام، عبيّد الله ومشكلة النسب الفاطمي، المجلّة التونسيّة للعلوم الاجتماعيّة، العدد 40 إلى 43، 1957، ص60.

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص157 -158.

[4] ابن الابار، المصدر السابق، ص193.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص304.

[6] حيث نصّ على أنّه لم يستمع إلى نصيحة المنجم له بتأجيل سفره من سجلماسة إلى القيروان؛ إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص25.

ب) عهد القائم أبو القاسم نزار بن عبيّد الله(322هـ-334هـ/934م-946م):

هو أبو القاسم محمّد بن المهدي عبيّد الله[1] ولد في سلميّة سنة ثمان وسبعين ومائتين، كان لصيقا بوالده أثناء ولايته العهد دون إخوته الخمسة، وكان عبيّد الله يعلن في مجالسه إعجابه بالقائم لذلك محض ثقته منذ صغره[2] وأناط به أعظم مسؤولية وهي قيادة الجيش وفتح الأمصار. بويع له بالإمامة في 15 ربيع الأول سنة 322هـ[3] /فيفري-مارس 934م، ولقّب بالقائم بأمر الله[4] قضى في السلمية سبع عشر سنة، وفي ولاية العهد خمسا وعشرون سنة، وأمّا مدة حكمه فإثنا عشر سنة، أي أن حياته امتدت خمسا وخمسين سنة[5]. لم تتحدث المصادر التاريخية عن طفولته ونشأته في سلميّة، تزوج بعد وصوله إلى المغرب بعشر سنوات، من أسرة كتامية معروفة بال عمار[6]، وخرج عليه في سنة 332هـ أبو يزيد الخارجي[7].

(1) هذا على رأي من يقول إن القائم ابن لعبيد الله، لكن هناك مصادر إسماعيلية تنص وتؤكد على أن عبيّد الله إمام مستودع وبعد وفاته سلّم الإمامة إلى القائم الإمام المستقر الذي يعتبر من نسل إسماعيل، وعبيد الله من نسل ميمون القداح، وعلى هذا يعتبر القائم ابنا روحيا للمهدي أو ولده المنتسب إليه بتعليمه وإفادته، أنظر: حسن إبراهيم حسن، عبيّد الله المهديّ(بالاشتراك مع طه أحمد شرف)، مكتبة النهضة المصريّة، دت، ص78؛ وهناك نص آخر مهم جدا للقاضي النعمان يقول عن المهدي: إنّه أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله له، فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره فقال له: الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت. المجالس والمسايرات، تح: إبراهيم شبوح والحبيب الفقي ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، 1978، ص410.

(2) عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص161؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص208؛ المقريزي، اتّعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص 74؛ القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص331 وما بعدها من عدّة صفحات.

(3) ابن الابار، الحلّة السيراء، ج1، ص286؛ وكان أبوه قدّ ولّاه العهد بعدما استقامت له الأمور في بداية المائة الثالثة وسمّاه وليّ عهد المسلمين. القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص324.

(4) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص19؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص208؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51؛ والقائم اسم يطلق على صاحب الزّمان، أي الناطق لكل دور، أي النبيّ المرسل، "بما يقوم به من نشر العلوم والحقائق ". إدريس عماد أهم، زهر المعاني، ص437؛ كما تطلق عبارة القائم خصوصا على آخر ناطق يختم دور السّتر ويفتح دور الكشف، وهو المعروف عند الاسماعيليّة بـ" قائم القيامة ". القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص413.

(5) عارف تامر، القائم والمنصور الفاطميّان، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982، ص7.

(6) عارف تامر، نفس المرجع، ص8.

(7) حول ثور أبي يزيد النكّاري أنظر: محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص197 وما بعدها من عدّة صفحات.

ج) عهد المنصور بالله أبو الطّاهر إسماعيل(334هـ-341هـ/946م-952م):

هو أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم بن عبيّد الله المهدي، ثالث الخلفاء الفاطميين في المغرب، ولد برقّادة سنة 301هـ، وهو الصّحيح وقيل: ولد بالمهديّة في أوّل ليلة من جمادى الآخرة سنة 303هـ، وقيل: ولد بالعراق، وهو خطأ، وقيل: ولد سنة302هـ[1] ، وأقام إلى أنّ أظهر القائم بأمر الله أمره، وفوّض إليه عهده، في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان، سنة 334هـ/ 12 أفريل 946م[2]، وكانت سنُّه آنذاك ثلاثا وثلاثين سنة، وتوفيّ القائم بأمر الله لثلاث عشرة خلت من شوّال(سنة 334هـ / الأحد 19 ماي 946م)، فكتم المنصور بالله موته ولم يظهر عليه حزنا، خوفا أن يتّصل ذلك بأبي يزيد، وهو بالقرب منه[3]، والذي عمّت ثورته أرجاء إفريقية، فجمع قواه وقضى عليها بجهد جهيد[4] وكان فصيحا بَليغا يرتجل الخطبة حادّ الذهن، حاضر الجواب[5]، نشأ على يدي المهدي محبّا لكتب الدّعوة والعلم وعقيدة البيت[6]، وتمكن بالقضاء على ثورة أبي يزيد، فبنى مدينة صبرة المنصوريّة[7].

[1] المقريزي، اتّعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص88.

[2] فرحات الدّشراوي، المرجع السابق، ص277.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص86.

[4] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، صص72، 113، 447.

[5] المقريزي، إتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص88.

[6] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص502.

[7] هي عاصمة الفاطميين في عصرها الذهبي، ومستقرّ الخليفتين الفاطميين المنصور والمعزّ لدّين الله تذكر المصادر أنّ المنصور انتقل إليها في آخر صفر سنة 337هـ.انظر:فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص217؛ ولم تزل دار ملك بني عبيّد إلى أن انتقلوا إلى مصر سنة 362هـ، فبقيت عاصمة لدولتهم مدّة 25 سنة، وهي مدّة تساوي فترة بقائهم بالمهديّة(308-337هـ) من شاء التفصيل في قصّة بنائها.أنظر:ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص73؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص693؛القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص23-27؛فرحات الدّشراوي، المرجع السابق، ص195-237؛أنشئت لتكون"مدينة عن الإسلام "بعدما طَرَقَها من أسباب الضعف والعجز في عهد القائم، وهي الرّمز المضاد لمدينة المهديّة، فبينما كانت المهديّة في آخر عهدها علامة على" الهزيمة " أصبحت المنصوريّة عند إنشائها، آية سطوة السّلطان، وقد بناها المنصور على موضع انتصاره على أبي يزيد، أنشأها تحدّيا لكل أعداء الدولة، إنّها إشارة إلى بدء عهد جديد هو عهد الانبعاث والقوّة.أنظر : فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص218.

وانتقل إليها واتخذها عاصمة للدولة الفاطمية، وقد بناها المنصور على موضع انتصاره على أبي يزيد، أنشأها تحدّيا لكل أعداء الدولة، إنّها إشارة إلى بدء عهد جديد هو عهد الانبعاث والقوّة[1]، ويذكر التجاني أنّه " لما تمّ للمنصور أمره، ولم يبق له من ينازعه، أحبّ الانتقال من المهديّة إلى مدينة صبرة، وهي ملاصقة للقيروان، وقد كان بنى سورها، وجعل فيها قصرا لنفسه، فكان انتقاله إليها أوّل سنة سبع وثلاثين، وذلك أصل تسمية صبرة بالمنصوريّة، ولم تزل صبرة دار ملكهم إلى أن انتقلوا إلى مصر[2]، فلم يمض إذن إلاّ وقت قصير حتى أصبحت المنصوريّة، العاصمة الفعلية للدولة الفاطمية. ثمّ شرع في اصلاح ما افسدته هذه الثورة بإنشاء أسطول، وأسند ولاية صقلية إلى أسرة بني أبي الحسن الكلبي[3]، كما شن حملة على تاهرت وتمكن من إخماد الثورات وفرض سيطرته في كلّ من تاهرت[4] وقسطيلية[5]، وتوفي المنصور سنة 341هـ بعد مرض أصابه عند خروجه متنزها إلى بلدة جلولاء، التي تبعد عن القيروان أربعة وعشرون ميلا، وفي طريق العودة هبت ريح شديدة وبرد ومطر وكثر الثلج، فماتت جماعة ممن معه واعتل المنصور علة شديدة ومات إثر إعطائه دواء منوما[6] .

---

(1) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص218.

(2) التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1958، صص327-328؛ مدينة صبرة بقوله " ومدينة صبرة متّصلة بالقيروان، بناها إسماعيل سنة 337هـ واستوطنها وسمّاها المنصوريّة، وهي منزل الولاّة إلى حين خرابها، ونقل إليها معدّبن إسماعيل أسواق القيروان كلّها وجميع الصّناعات، ولها خمس ابواب. أنظر: البكري، المصدر السابق، ص25.

(3) رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص173.

(4) مدينة عريقة جنوب شرق تلمسان، دخلها الاسلام على يد الفاتح عقبة بن نافع، اتّخذها عبد الرحمن بن رستم عاصمة له، فاخطط فيها احياء جديدة وحصّنها وسماها تاهرت، دخلها الفاطميون سنة 296هـ/909م، وبعدهم ملكها الحمّاديون، ثمّ تعاقبت عليها الدول. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7.

(5) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص310.

(6) عارف تامر، المعزّ لدّين الله، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط1402،1هـ/1986م، ص53-54.

2) ثورة مخلد بن كيداد(331هـ-336هـ/942م-947م):

بذلت الدولة الفاطمية منذ قيامها جهودا كبيرة لإخضاع جميع بلاد المغرب، واستتباب الأمن فيه إلاّ أنها كانت تتعرض من حين لآخر لثورات متفرقة خاصة للرافضين للمذهب الشّيعي، وكانت أكبر هذه الثورات التي كادت أن تقضي على كيانها وتهدم أركانها، الثورة الإباضية النكارية[1]، بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد[2]، ونشأ مخلد بن كيداد في توزر[3] وبها تعلم القرآن وخالط جماعة من النكارية، وكان مذهبهم يقوم على تكفير أهل الملة واستباحة الدماء والخروج على السلطان[4]، فمال إلى مذهبهم ثمّ سافر إلى تاهرت كان معلما للصبيان فيها ونشطت دعوته شرق هذه المنطقة التي عرفت هجرات القبائل المعتنقة للإباضية.

بعد القضاء على الدولة الرستميّة ومن هذه المناطق نجد جزيرة جربة[5] وجبال الأوراس[6] كانت دوافع هذه الثورة[7] تتمثل في سياسة الاضطهاد التي اتبعتها الدولة الفاطمية

(1) النكارية فرقة من الإباضية الخوارج، بالنكار لانهم انكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ/787م-788م، وكان لهم شأن في تاريخ الثورات بإفريقية. أنظر: الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر1974م، ج1، ص48-49.يذكر ابن خلدون ان النكارية هم الخوارج الصفرية، المصدر السابق، ج4، ص52.

(2) هو مخلد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تيقراسن بن سميدان بن يفرن بن جانا، وهو من قبيلة زناتة يكنى بابي يزيد، ويلقب باليفرني. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص18.الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1980،5، ج7، ص194.ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص216.ويذكر الجوذري إنّه يلقب بصاحب الحمار، وهو من أهل قسطيلية من اقليم توزر كان ابوه يتاجر مع السودان وفيها ولد أبو يزيد من ام هوارية، ثمّ نشأ في توزر وخالط الخوارج واعتنق مذهبهم. سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تق وتح: محمّد كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د ت، ص158.

(3) توزر هي مدينة قسطيلية كبيرة عليها سور حصين أهلها شراة وهبية إباضية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص348. ويقال ان توزر هي نفسها قسطيلية. أنظر: البكري، المصدر السابق، ص48-49.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص189.

(5) من اعظم الجزر، وطولها من الغرب إلى الشرق 60 ميلا وهو الطرف الواسع، ومن هذا الموضع إلى جزيرة قرقنة 60 ميلا، وعرض الراس الشرقي منها 15 ميلا، وهو اضيق مكان منها. أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص93.

(6) محمّد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص1998م.

(7) ذكر الدرجيني ان سبب الحقيقي لهذه الثورة ان ابا يزيد عندما كان متوجها إلى المشرق للحج، وحين وصوله لمصر، نظر إليه احد رجال الفاطميين وسخر من حلق راسه وقال له: " غط راسك ايها الثائر"، وحين سمعها أبو يزيد وقع في نفسه من ذلك ما وقع، ولما حج ورجع إلى المغرب قام بثورته انتقاما منه. أنظر: الطبقات، المصدر السابق، ج1، ص97.

ضد الخوارج وأهل السنّة المالكية المخالفين لمذهبهم الشّيعي، والضرائب الباهظة المفروضة على سكان بلاد المغرب فتدهورت أوضاعهم خاصة في عهد القائم، ممّا ادى إلى استيائهم وانضمامهم إلى ثورة مخلد بن كيداد[1]، الذي كسب تأييد المالكية وأمويّ الأندلس[2] ، وبويّع أبو يزيد لرئاسة النكارية ومحاربة الشّيعة ومحاربة الفاطميين واستباحة أموالهم سنة 331هـ/942م، وتلقب بشيخ المؤمنين[3]، وجاهر بعدائه للفاطميين بمنطقة الأوراس، فقام الخليفة القائم بأمر الله بمحاربته ففرض عليه حصارا، لكن أبا يزيد وأتباعه تمكنوا من فك هذا الحصار والسير نحو الأربس[4]، ففتحوها ونهبوها ويقول ابن عذارى: "دخل إفريقية وخرب مدنها ودوخها وقتل من أهلها ما لا ينحصر"[5]، كما يقول عنه ابن أبي الدّينار: "دخل إفريقية ونهب بلد الأربس ففر الناس إلى جامعها فقتلهم فيه واقتض أصحابه فيه الأبكار وفعل بهم ما لم يفعله مسلم"[6]، وهنا أدرك القائم خطورة هذه الثورة، فأمر بحفر الخنادق حول المهديّة. وكتب إلى زيري بن مناد الصنهاجي[7] وكتامة، يحثهم بالاجتماع في المهديّة ومحاربة الثائر أبو يزيد، فتأهبوا للمسير إليه[8]، ضرب أبو يزيد حصارا على المهديّة قارب سنة إذ تمكن من عبور الخنادق التي حفرت حول المهديّة فدخلها واستولى على زويلة[9]، فنهبها وقتل أهلها، ووصل إلى مصلى المهديّة

(1) محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص199.

(2) محمّد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص93.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص217.

(4) مدينة بينها وبين القيروان وافريقية مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين باجة مرحلتان. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص24.

(5) البيان، المصدر السابق، ج1، ص217.

(6) المصدر السابق، ص55.

(7) زيري بن مناد: زيري بن مناد بن منقوس بن زناك بن زيري الاصغر بن واشفال بن وزغفي بن سري بن وتلكي ابن سليمان بن الحارث بن عدّي الاصغر، هو جد المعزّ بن باديس ومؤسس مدينة آشير. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص343.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص78؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص59.

(9) وقد يقال لها زويلة المهديّة. أنظر: ياقوت الحموي، نفس المصدر السّابق، ج3، ص160. وسكان الزويلة هم سكان العامة، دكاكينهم واموالهم في المهديّة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص160 ؛ الإدريسي، النزهة، المصدر السابق، ص144 ؛ البكري، المصدر السابق، ص29 ؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص74.

ولم يبق بينه وبين المهديّة إلاّ رمية سهم، وقد بلغ بالناس من شدة الحصار أن أكلوا الميتة والدواب والكلاب[1]، وفي هذه الفترة بدأ اصحاب أبي يزيد يتفرقون عنه إذ غرتهم الانتصارات التي حققوها فغلب عليهم الطمع والجشع[2]، وبعضهم انشغل بالغارات والبعض الآخر طالت غربتهم عن بلادهم، كما أنّ أبي يزيد غير سيرته بلبسه الحرير وركوب الخيل وحاول فرض مبادئه[3]، فلم يبق معه إلاّ هوارة[4] وزناتة[5]، فبدأت هزائمه تتوالى فحاول تنظيم جيوشه فرجع إلى القيروان سنة 334هـ وضرب حصارا على سوسة[6] المنقلبين عليه[7]، وفي هذه الفترة توفي القائم فخلفه إبنه المنصور وكتم خبر وفاته حرصا على أن يطلع عليه أبو يزيد[8]، وقام الخليفة المنصور بجمع جيشه سنة 335هـ وخرج من المهديّة لتعقب الثائر مخلد بن كيداد الذي التقى به في سوسة فكانت الحرب سجالا بينهما، ومع توالي انتصارات المنصور بدأت القبائل تعلن ولاءها إليه[9]، فتمكن أبو يزيد من الفرار فتحصن بجبال كتامة فتعقبه المنصور فانهزم أبو يزيد هزيمة نكراء وقتل معظم رجاله سنة 336هـ/947م[10] .

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص54.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص80.

(3) ابن الحماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص56. إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص301.

(4) هوارة: هي بطن من البرانس تنسب إلى هوار بن أوريغ بن برنع جد البرانس و تتفرع إلى عدّة بطون: غربان و ورفل، سراتة، محريس، بنو كهلان. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص284. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار ابي رقراق، الرباط، ط 1، 2005م ، ص178.

(5) محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص205–206.

(6) مدينة بإفريقية طيبة على نحر البحر، ولها سور حصين وماؤها معين وبها اعمال صالحة نبيلة، ولها اسواق حسنة وفنادق وحمامات وهي من القيروان على مرحلة. أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص74.

(7) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص217. محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص207–208.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص86.

(9) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دط، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2008، ص544.

(10) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص85؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص38–40.

اختلفت المصادر في طريقة موت أبي يزيد مخلد بن كيداد، فقد ذكر ابن عذارى أن أبي يزيد اعتصم بالجبل المعروف باسم لاكيانة وأخذ حيا مجروحا فجعل من قفص من حديد، وجيء به إلى المنصور بالمهدية فقتله وصلبه على الباب الذي ضرب عليه أبو يزيد برمحه[1]، بينما اكتفى ابن خلدون بذكر إنّه مات بالسلخ[2]، وذكر ابن أبي الدينار إنّه سلخ جلده ومليء قطنا وطيف به في الشوارع[3].

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص220.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص25.

(3) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص58-59.

الفصل الثاني:

أجهزة الدّولة وسياستها الداخلية في عهد المعزّ

أولا:سيرة المعزّ لدّين الله وولايته

ثانيا:أجهزة الدولة الفاطميّة في عهد المعزّ لدّين الله

ثالثا:علاقات المعزّ الداخلية ببلاد المغرب

أولا: سيرة المعزّ لدّين الله وولايته:

1) شخصية المعزّ لدّين الله الفاطمي:

المعزّ لدّين الله الفاطمي، هو معد بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل ابن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي، لقب بالمعزّ لدّين الله وكني بأبي تميم[1]، وهو رابع وأخر الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب، وأولهم في مصر[2].

تتفق المصادر التاريخية على أنّه ولد في مدينة المهديّة عاصمة الفاطميين في بلاد المغرب[3]، أمّا عن تاريخ ميلاده، ذكر ابن عذارى[4]، وابن خلكان[5] إنّه ولد يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان سنة319هـ/932م، في حين ذكر المقريزي روايتان أولهما تنص على أنّه ولد في النصف من رمضان سنة 317هـ/929م، وأنّه ولى العهد وعمره 24سنة[6]، ويوافقه فيها ابن الأثير[7]، والثانية تنص أنّه ولد بالمهدية في 11 رمضان سنة 319هـ/27سبتمبر 931م[8]، وبذلك عاصر الخلفاء الثلاث وهو عبد الله مؤسس الخلافة الفاطميّة وجّده القائم، ووالده المنصور وذكر القاضي النعمان أن المهدي كان يجتمع بهم ويقول: ما على ظهر الأرض مجلس أشرف من هذا المجلس اجتمع فيه أربعة أئمة[9].

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص221؛ ابن تغرى البردي، نجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة كوسطوتسوماس، القاهرة، د ت، ص74؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص224.

(2) ابن عذارى،المصدر السابق، ج1، ص221؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص122.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص223.

(4) نفسه، ص221.

(5) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص224.

(6) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج 1، ص351.

(7) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص498.

(8) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج1، ص353.

(9) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعزّ لدّين الله، القاهرة، ط2، 1963م، ص14.

نشأ المعزّ في قصور المهديّة والمنصورية كأبناء الخلفاء وأولياء العهود، وتلقى تعليمه الديني والدنيوي، وروى صاحب سيرته المخلص القاضي النعمان أن المعزّ منذ صغره كانت تبدوا عليه إمارات النجابة، واختبر المهدي ذكاءه وأعجب به، وتنبأ بأنه سيكون له شأن كبير، وبقيت ذكرى هذا الحادث في ذاكرة المعزّ لدّين الله سنوات طويلة يقول:إني لأذكر من أمير المؤمنين المهدي بالله يوما حملت فيه إليه، وأنا يومئذ فطيم أعقل الكلام، وأحفظ ما يكون فتناولني وقبلني وأدخلني تحت ثوبه، وكشف عن بطني وألصقها ببطنه، ثمّ أخرجني وبارك علي، وسألني عن حالي وأجلسني في حجره، ودعا لي بما أكل، فأتيت بطبق من فضة مذهب فيه موز وتفاح خريفي وعنب، فوضع بين يدي، فلم أتناول منه شيئاً، فأخذه بيده، وناولني إياه، فأخذته بيدي فقال: امض به فكل أنت ما فيه، وأعط الطبق فلانة، وذكر بعض البنات، وهي يومئذ في مثل سني، فقلت بل آخذ أنا الطبق، وأعطيها ما فيه،فضحك وتعجب من انتباه لذلك، ودعا لي بخير، وقال للخادم احمله، فحملت وحمل الطبق بين يدي، وقال سيكون له نبأ ومثل هذا الكلام[1]، والمصادر الفاطميّة لا تقدم لنا المعلومات الدقيقة عن تربيته وتعليمه، ويعود السبب في ذلك إلى عقائد الاسماعيليّة، والتي تعتبر الإمام منبع العلم والمعرفة، وأنّه يرث العلم عن أبائه، وأنّ منصب الإمامة هو وراثة النبوة والوصاية لهداية الناس، فالأئمة وفقا لهذه العقيدة يتوارثون العلم[2]، وأنّ للأئمة فراسات موروثة وأنهم ينظرون إلى أمور هذه الدنيا بنور الله[3].

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص541؛ إدريس عماد الدّين، عيون الأخبار وفنون الآثار، المصدر السابق، السبع السادس، ص11؛ إذا صحت هذه الرواية بجميع تفاصيلها يعني أن المعزّ كان صبيا واعيا له من العمر قرابة الخمس سنوات أو أكثر، وبالتالي كانت ولادته قبل سنة 319ه، لأن المهدي توفي سنة 322ه، أو أضاف فيها المعزّ لدى روايته الخبر، أو أن الرواية كلها مخترع من قبل المعزّ نفسه، أو من قبل القاضي النعمان، للدعاية أو للتغطية على مشكلة النسب، ونحن إذا ملنا إلى رفض الرواية، فوقتها ننفي تذكر المعزّ للمهدي، ونؤكد إنّه ولد سنة 319ه. صالح عمار الحاج، المغرب العربي من خلال خلافة المعزّ لدّين الله الفاطمي (341-362ه/952-971م) ، القاهرة، ط1، 2004م، ج1، ص163-164.

(2) لنظرية الإمامة، أنظر: القاضي النعمان، دعائم الإسلام.

(3) يروي الجوذري عن الأستاذ جوذر قائلا:«فأول ما عرفني به عند سؤالي إياه عن سبب وصوله إلى ما وصل إليه، أني جلست يوما بين يده، وأجرى ذكر الأئمة، صلوات الله عليهم، وان لهم فرسات صادقة، واختبارات حقيقية، وأنهم ينظرون بنور الله Y في جميع أمورهم»، فقال، جوذر رضي الله عنه:«أول ما بتينته من صدق فراسة الإمام المهدي بالله مولانا وسيدنا ، أول ما وقعت عينه عليّ، وكان ذلك سبب وصولي إلى ما وصلت إليه». الجوذري، المصدر السابق، ص34-35.

استقصينا بعض المعلومات عن أقوال المعزّ التي ذكرها القاضي النعمان، وكان الخلفاء الفاطميون يعدون أولياء العهود إعداداً مذهبيا دينيا، ويطلعونهم على أسرار المذهب الإسماعيلي، ويتولى الجد هذه المهمة بنفسه، ويتعهد ولي العهد وفقا لذلك. قام القائم بالاهتمام بحفيده المعزّ اهتماما بالغا، فقد رويى بأنّ القائم كان يأنس به، ويدربه ويكلفه ببعض الأعمال والمهام ويتخذه واسطة بينه وبين الرعية، ليزوده بالخبرة التي تجعل منه حاكما ممتازا وسياسيا بارعا[1]، ويقول صاحب المجالس والمسايرات:«كان المعزّ لدّين الله ، يحل من القائم والأئمة من ذريته الطاهرين، محلا خصيصا منذ نشأته، وكان يقربه ويدنيه، ويصر إليه دون أبيه، وكان رسوله وسفيره إلى الناس فيما يأمر به، وينهى عنه، ويحتاج إليه، فإذا خلا كان بين يديه، ومتى غاب عنه آرسل إليه»[2]. كما ذكر أن شيوخ كتامة بعثوه إلى جده القائم يشاورونه، حول مسائل الحرب ضد أبي يزيد مخلد ابن كداد، فقال القائم له:«قل لهم فليفعلوا من ذلك ما أحبوه».

بالإضافة إلى تعلم المعزّ على يدي أبيه المنصور في طرق المناظرة، وأساليب الجدال في حضور مجالس الحكمة التي تعقد في القصر، وروى النعمان عن المعزّ قوله:«لقد كان المنصور عليه السلام إذا أفادني شيئا من العلم والحكمة قال لي: قل في هذا ما يعرِض لك إنّه يدخُل فيه. فربّما قلت: ما عرضَ لي فيه شيء، فيقول: فاسأل عمّا أشكَلَ عليك منه، فلا يكونُ عندي إشكال، فأقول: ما أشكَلَ عليَّ منه شيء. فيقول: قل فيه بما عسى أن ترى أنَّ عَدُوَّنَا مخالفَنا يقول، فإن العلمَ والحكمةَ لا يثبتان في القلوب إلاّ بعدَ الحُجّة والمعارضَة، فربّما قلتُ في ذلك فيتفجّرُ عليَّ منه من بحورِ العلم والحكمةِ ما لم أكُن أؤَمِّله ويزيدُني من الفوائد ما لم أكن أرجُوه ويظهَرُ لي في ذلك ما لم أكن أظُنُّه [3].

---

[1] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص14-15.

[2] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص538-539.

[3] نفسه، ص133.

ونظرا لأهمية الكتب المذهبية، التي تسمى كتب الباطن أو الطب الحقيقي[1]، وحرص الخلفاء الفاطميون على مراسلة دعاتهم بالرموز، بتولى كلّ خليفة تعليم ولي عهده هذه الرموز، فقام المنصور بتعليمها للمعزّ، الذي قال:«دفع إلي المنصور بالله، كتابا بالخط المهدي، فيه حروف المعجم بخط كان الإمام قبله، يكاتب به الدعاة، فقال المنصور: انقله بخطك فقد عرفني معناه»[2]، وتعلم المعزّ كثيرا من اللغات منها السودانية والرومية والصقلية والبربرية، وأتقنها قراءةً وكتابةً وكان يخاطب رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويطالع بنفسه رسائلهم÷، ويخبرنا المقريزي قائلا:«كان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والمعزّ، وكان المظفر يدُل على المعزّ لأنه علّمه الخط، وهو صغير فاتفق إنّه حرد يوماً، فسمعه المعزّ يتكلم بكلمة صقلبية استراب بها، فأخذ المعزّ نفسه بحفظ اللغات، فابتدأ بالبربرية فأحكمها، ثمّ بالرومية، ثمّ بالسودانية، ثمّ استدعى الصقلبية فمرت به تلك الكلمة فيها فإذا هي شتمه، فبقيت في نفسه حتى قتلهما»[3] وذكر حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف أن هناك أسباب جعلت المعزّ يتعلم كلّ هذه اللغات، تعلم اللغة الإيطالية القديمة(اللاتينية) لقرب بلاده لايطاليا، وطمعه في إستيلاء عليها، تعلم اللغة الصقلبية في صباه حين كان في جزيرة صقلية، وأساتذته في طفولته كانوا من الصقالبة، إضافة إلى وجود فرقة من جنود المعزّ تسمى فرقة الصقالبة، وتعلم اللغة البربرية لأنه يقيم بينهم وليتقي شرهم، وكذلك تعلم اللغة السودانية لأن السودانيين كانوا يكونون جزءا كبيرا من جيشه، وقرر فتح مصر وضم السودان إليها، كما أتقن اللغة العربية اتقانا، فمعظم كتب النعمان ألفت في عهد المعزّ، الذي يمده بمادتها ويلخصها له[4].

---

[1] قال المهدي للمنصور، وقد أعطاه كتابا من كتب الباطن:«يا بنيا ذلك هو الطب الحقيقي، وهو طب الأرواح في دار الآخرة، به يعالج من ألمها، ويداوي من سقمها...أنظر فيه، واعرف معانيه، وأحفظ أصوله، فإن فيه أصولا من علم الشريف. فإذا أنت حفظت ذلك، وأتقنت معرفته، فأصرفه لأعطيك غيره». أنظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص503.

[2] المصدر السابق، ص503.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص65.

[4] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص16-17؛ صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص171-172.

ذكر النعمان أنّه يعرض على المعزّ مؤلفاته قبل نشرها وتعميمها، مثل كتاب الدّينار، قام المعزّ بقراءته وكتب إلى النعمان يقول:«وقفت على الكتاب وتصفحته، فرأيت ما أعجبني فيه من صحة الرواية وجودة الاختصار، ولكن فيه كلمات تعتاص على كثيرين من أوليائنا، معرفتها فاشرها بما يقرب من إفهامهم، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشرف، فإنه يجيء طريفاً قريب المأخذ، وسماه كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار، فإن ذلك أشبه به من كتاب الدينار، لأن فيه من علم أولياء الله ما يحق على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أموالهم»[1].

المعزّ هو أشهر الخلفاء الفاطميين، وأعظمهم في جميع المستويات السياسية والدينية، والحضرية، لعدة أسباب أولها أنّه أول من ملك مصر وبنا القاهرة التي تنسب إليه وتسمى القاهرة المعزّية[2]، وثانيها أنّه عالم الأسرة الفاطميّة ومنظر مذهبها، عارف بعلم الظاهر، وعلم الباطن، وبأحكام الدّين وأصوله وفروعه، وبالعلوم الرياضية، والطب، والهندسة، وعلم النجوم والفلسفة. وثالثها هو صاحب اختراعات لم يسبقه أحدا إليها[3]، حسب ما يصوره القاضي النعمان:«وجدناه صلوات الله عليه قد نظر في كلّ فن، وبرع في كلّ علم، وإن تكلم في فن منها أربى على المتكلمين، وكان نسيج وحده في العالمين، أمّا علم الباطن ووجهه فهو البحر الذي لا تخاض لجته، ولا يدرك آخره، وأما القول في التوحيد وتثبيت الدّين، والرد على أهل اقتراف البدع والملحدين فهو واحده، وهو علمه ومنارة، وعمدته. وأما الفقه والحلال والحرام، ومسائل الفتوى والأحكام، كذلك مجاله وميدانه، وصنعته وديدانه. وأما الطب والهندسة وعلم النجوم والفلسفة، فأهل النفاذ في كلّ فن من ذلك في يديه، وكلهم في ذلك عيال عليه، ويخترع في كلّ يوم لهم من الصنائع، ويبدع لهم فيه البدائع من دقائق معانيه، وما تحار أذهانهم»[4].

---

[1] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص360.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص93.

[3] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص148.

(4) نفسه.

رغم أن مصادر الفاطميّة يقال عنها متحيزة، وتبالغ في مدح شخصية الأئمة خاصة كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان الذي غالى في ذكر شخصية المعزّ فالمصادر السنّية، التي بين أيدينا تشهد صراحةً أن الخليفة المعزّ لدّين الله، كان يعد من كبار رجال عصره، فاق أقرانه ومنافسيه علما وسياسة وحربا، وكان ذا ولع بالعلوم، ودراية بالأدب، فضلا عما عرف عنه من حسن التدبير وإحكام الأمور، وكان يجيد عدّة لغات[1].

يقول المقريزي[2]:«أخذ المعزّ نفسه بتعلّم اللغات، فابتدأ بالبربريّة فأحكمها، ثمّ الروميّة، ثمّ السودانيّة، ثمّ استدعى الصقلبيّة»

ويقول عنه ابن تغري بردي[3]:«وكان المعزّ عاقلا ، حازما وأديبا جوادا ممدّحاً فيه عدل وإنصاف للرعيّة»، ويقول ابن خلّكان[4] قاضي القضاة الشافعي، في ترجمة سيرة المعزّ:«كان المعزّ عاقلا، حازما، سريا، أديبا، وحسن النظر في النجامة، وينسب من الشعر قوله:

للّـــــه مـــا صنعت بنا	تلك المحاجر في المعا جر
أمضى وأقسىَ في النفـو	سِ من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبتُ بِبَيْنِكُـــــم	تعبَ المُهاجرِ في الهوا جر

وينسب إليه أيضا:

أطلعَ الحسنُ جبينك شمـــساً	فوق وردٍ في وجنتيك أطَلاً
وكأنّ الجمال خافَ على الوَرْ	دِ جفافاً فمدَّ بالشعرِ ظلاًّ [5]

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص9.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص113.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط1،دار الكتب العمية، 1992م، ج4، ص82.

(4) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص228.

(5) عارف تامر، المعزّ لدّين الله، المرجع السابق، ص195.

2) ولاية المعزّ لدين الله الفاطمي:

إنّ نظام ولاية العهد عند الفاطميين قائم على فكرة الإمامة، التي هي محور وأساس الدولة الفاطميّة مذهبا، مجتمعا ودولة، ومن الشروط الأساسية لصحة الإمامة عندهم الوصية أو النصّ (أي أن ينصّ الإمام السابق على الإمام اللاّحق من أولاده) وهو أمر بالتعيين صادر عن الإمام السابق عند موته، وإذا صدر عن الإمام أكثر من ولد، فإنه لا يؤخذ إلاّ بالنصّ الأخير الذي صدر[1]. وحسب رواية القاضي النعمان تم تعيين معزّ ولياً للعهد في حياة جدّه القائم الذي خشيا من تقديم المنصور احد أبنائه على المعزّ في يوم من الأيام، قائلا له:"فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر إلى غيرك منهم، وكلاّ لا يفعل ذلك إن شاء الله"[2].

والمصادر التي بين أيدينا، لم تثبت تردد المنصور من اختيار المعزّ خليفة له، ولم تشر إلى هذا الخبر.

بادر المنصور إلى تعيين خليفته المعزّ، في المنصوريّة حين انتصر على ثورة أبي يزيد، واعلم جماعة من أوليائه، بهذا التعيين أثناء إقامته في تاهرت، حيث توعكت صحته إثر حملته على صاحب الحمار، لكنه لم يعلن رسميا عن ذلك الخبر، إلاّ بعد ذلك بمدة طويلة في أوائل سنة 341هـ[3]، ووفقا للتقاليد الاسماعيليّة تم تعيين المعزّ بمقتضى النص، وقال المنصور للمعزّ حين عهد إليه:"والله ما أنا آثرتك بما آثرتك به، بل الله آثرك واختصك وأعطاك واجتباك، والله لو ملكت من الدنيا درهما فما فوقه من غير هذا الوجه، لما استنجزت أن اخص به أحدا من ولدي دون أحد، فأما ما خولني من الكرامة، واصطفاني به من الإمامة، فإنما هو متاع عندي، وعارية في يدي إلى انقضاء المدة وتمام العدة، ثمّ هو لك بحكم الله وأمره وإعطائه، لا عن أمري وحكمي واختياري واختصاصي إياك به"[4] ووصاه قائلا:"إني أجمع لك الوصايا كلها في كلمة واحدة، فانظر فما كنت رأيتني أفعله ففعله، ولما كنت رأيتني تركته فاتركه، واصنع بعد

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص93.

(2) نفسه، ص469؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص20-21.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص468.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص21.

وفاتي ما كنت رأيتني أصنع في حياتي، فنعم السلف أنا لك"[1]. تولى المعزّ الخلافة، يوم توفي والده المنصور، في أواخر شوال سنة 341هـ/952م[2]، فساوره القلق والخوف من المصاعب التي تنتظره وخشي من ردود فعل سلبية من قبل إخوته وأعمامه، فقد كان يتوقع حدوث اضطرابات فحرص على إخفاء موت أبيه حتى يتمكن من ضبط الأمور في البلاد وحفظت سيرة الأستاذ جوذر[3] الذي كان متوليا بشؤون القصر في المهديّة، بعض المسائل للإمام المعزّ لدّين الله، إلى جوذر يعرفه بوفاة المنصور، ويأمره بكتمان ذلك، وعبر عن مشاعره الخاصة ومخاوفه قائلا له:"وكان من قضاء الله السابق، وأمره النافذ، أجرى على سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، من حكمه وقضائه ما أجراه على أبائه المهديين، وجده محمّد خاتم النبيين ، فامتحنني بفقده، والإنفراد بعده في الديار الموحشة، والقصور الخالية، والبلد المشاقق، بين كلّ عدو وفاسق، وقد جمعوا من أقطار الأرض من شرق وغرب، وبر وبحر، فأنا فيهم الفريد الغريب الوحيد،... ما أعظم محنتي، وأشد بليتي، فعلى الله أتوكل، وإليه أفوض، وعليك فيما قبلك والإحتراس ما أمكنك، والضبط ما استطعت، ومنع هؤلاء القردة من الوصول إلينا، والخروج من أبواب بيوتهم، فضلا عما سوى ذلك، والكتمان ثمّ الكتمان عن الأهل والخاص والعام، وإن اتصل بهم شيء من ذلك، وكذبه ما استطعت، وخوفهم ما قدرت، ولا تحمل نفسك من الغم والهم ما لا تحمله، واعلم أنّه لو كان ذلك نافعا لتقدمتك أنا فيه والخلق أجمعين"[4].

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص21.

(2) نفسه؛ القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص203؛ أنظر:

Dachraoui (Farhat) , Le califat fatimide au Maghreb296-362/909-973,histoire politique et Institutions ,Tunis ,1981, p219.

(3) جوذر الصقيلي الاستاذ: من رجال الدولة العبيدية، كان في صباه عبدا لعبيد الله فاهداه لابنه القائم، وتقدم عنده حتى استخلفه وهو لا يزال وليا للعهد سنة 300هـ/912م، وجعله بعد ولايته الخلافة صاحب بيت المال،والموكل بخزائن الكساء والسفير بينه وبين الناس، ولما خرج المنصور لحرب ابي يزيد استخلف جوذرا على دار الملك وسائر البلاد، وسلمه مفاتيح الخزائن، ولما اخمد المنصور الثورة، اعتق جوذر من الرق ولقبه مولى امير المؤمنين، وهو اول من لقب به، وامر ان لا يقدم على اسمه إلاّ الخليفة، وولى عهد المعز، وكان معه مثل سابقيه، وسافر مع المعز إلى مصر، فمات في الطريق سنة362هـ/972م؛ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص144؛أنظر:

M.Canard, LA vie de lustad jawdar, Alger, 1958, p19.

(4) الجوذري، المصدر السابق، ص73-74.

وكشفت لنا رسالة المعزّ إلى جوذر، المخاوف التي أثارته في نفسه، والظروف المضطربة التي تولى الخلافة فيها، فوالده تمكن من القضاء على ثورة الخوارج، ولكنه لم يتمكن من إخماد ثورة البربر نهائيا في جبل الأوراس، وكذا من إرجاع هبة الفاطميين، سواء من داخل المملكة أو خارجها لذا يجب عليه إعادة الأمن إلى البلاد، إضافةً إلى أن أهلها الذين عرفوا بمناهضتهم للنظام، ولكنهم قاسوا مآسي الحرب مقاساة شديدة[1].

رغم ذلك لم ينتظر طويلا، ليعلن خبر وفاة والده، واعتلائه منصب الحكم، فقد أذاع الخبر بعد بضعة أسابيع في الخطبة[2] التي ألقاها في يوم عيد الأضحى بجامع المنصوريّة، وأعلن رسميا بداية عهده[3]، نعي فيها المنصور بالله، وأظهر وفاته، وأوضح فيها سياسته لرؤساء كتامة، ووعدهم بحرصه على صيانة أرواح رعاياه، والسعي لإخماد الفتن والثورات، حتى يسود الأمن والسلام داخل بلاده، وختم بقوله:"إنكم إذا لزمتم ما أمركم به، رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق، كما قرب أمر المغرب بكم"[4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص23.

(2) يوجد نص هذه الخطبة كاملا في الملحق رقم 02 ص 118.

(3) Farhat Dachraoui , op cit, p221.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص137-138؛ جمال الدّين سرور، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص32.

ثانيا: أجهزة الدولة الفاطميّة في عهد المعزّ

1) النظام السياسي والإداري:

أ) الخلافة:

تلقب حكام الدولة الفاطميّة باسم الخلافاء والأئمة، وتركزت فيهم صفتا الخلافة والإمامة، وبذلك جمعوا بين الزعامتين الدينية والزمنية، فكان المهدي خليفة وإماما وتمتع بهاتين الصفتين من بعده الخليفة القائم ثمّ المنصور ثمّ المعزّ لدّين الله[1]، وكان الخليفة الفاطمي يجمع في يده جميع السلطات إذ أن نظام الحكم في عهد المعزّ كان يرمي إلى جعل هذا الخليفة مركزاً يستطيع منه الإشراف على جميع نواحي نشاط الدولة، وكان يستعين بأصحاب الدواوين وكبار الموظفين كصاحب بيت المال والقاضي وغيرهم، ولم تكن رتبة الوزارة قد ظهرت في عهده، ومع ذلك كان يستعين بمن يثق فيهم ويوكل إليهم أمور دولته[2].

عهد المعزّ إلى جوذر مهمة تجميع التقارير والمطالب الصادرة عن كبار الموظفين وإبلاغها إليه الذي كان يجيب عليها في شكل توقيعات تتضمن قراراته أو نصائحه وأوامره، فيتكفل الأستاذ جوذر بإحالتها لأصحابها والسهر على تنفيذها[3]، وأسند المعزّ القضاء إلى رجال ألموا بعقائد المذهب الإسماعيلي، وعلى رأس هؤلاء القضاة منصب قاضي القضاة الذي أسنده إلى أبو حنيفة النعمان المغربي بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون الإسماعيلي المعروف بالقاضي النعمان، والذي كانت شخصيته في عهد المعزّ تأخذ أبعاداً غير الأبعاد الرسمية، فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف، وبل أصبح يسهم في تركيز الدّعوة وفي بسط عقيدتها وتدوين فقهها، وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامة متينة للفقه الشّيعي والفكر الإسماعيلي، فقد أعد المعزّ مجلساً في قصره يلتئم إثر صلاة الجمعة ويقرأ فيه القاضي النعمان كتباً في علم الباطن[4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص134.

(2) نفسه، ص135.

(3) الجوذري، المصدر السابق، ص87؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص452.

(4) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص10.

كانت الخلافة مقصورة على أمراء البيت الفاطمي ويشترط فيمن يليها أن يكون إماماً إسماعيلياً، مستودعا أو مستقرا، فلا يليها أئمة علويون من غير سلالة إسماعيل بن جعفر، كما لا تنتقل الخلافة إلاّ بنص من الإمام السابق، والإمام لايستطيع أن يعهد لأكثر من واحد وهذا ما يميز ولاية العهد عند الفاطميين عن ولاية العهد عند غيرهم كالأمويين والعباسيين، وكان المعزّ يجلس على عرش الدّعوة والدولة معا، بمعنى أنّه كان يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية[1].

ب) ولاية الأقاليم:

قامت الدولة الفاطميّة بالمغرب الإسلامي على أنقاض ثلاث دول هي دولة الأغالبة وبني مدرار وبني رستم[2]، فبذلك ورثت رقعة جغرافية مترامية الأطراف، فلم يستطع الخليفة الفاطمي تسييرها بمفرده، فقام بتقسيم هذه الرقعة الجغرافية إلى أقاليم وعين عليها ولاة ينوبون عنه في تسييرها، وكان يعينهم وفق المبادىء الاسماعيليّة التي تقول أنّ: "الولاء هو شرط الولاية"[3]، والخليفة هو صاحب السّلطة المطلقة فيولي من يشاء ويعزل من يشاء[4]. كانت أهم الولايات في عهد المعزّ من الشرق إلى الغرب: ولاية برقة[5]، وتليها ولاية طرابلس ثمّ ولاية المغرب الأقصى، والأوسط ومقرها تاهرت ثمّ ولاية فاس وسجلماسة بالمغرب الأقصى بالإضافة إلى صقلية التي تعتبر ولاية ممتازة بين ولايات الفاطميين، واشتهر بيت الحسن الكلبي بحكمها وتعتبر خط الدفاع الأول عن الدولة الفاطميّة[6].

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص135.

(2) أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمّد ديوب منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979، ص66.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص158.

(4) نفسه، ص240.

(5) مدينة وإقليم بافريقية في أرض ليبيا مما يلي حدود مصر، تعرف بنطابلس (Pentapolis) اي إقليم المدن الخمس، فتحها عمرو بن العاص صلحا. أنظر: البغدادي، مراصد الإطلاع، المصدر السابق، ج1، ص186-187.

(6) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص154-155.

اهتم المعزّ بحكم هذه الولايات أكثر من اهتمامه بالحكم المركزي، لأنّه أدرك أنّ رفاهية دولته وعظمتها تقوم على استتباب الأمن والنظام في الأقاليم، ومن مظاهر الحكم في هذه الولايات أنّه استعان بأبناء أنصار الدّعوة، واخذهم بالشّدة إذا أساءوا أو أهملوا[1]، فقد ذكر النعمان مرارا وتكرارا أن المعزّ كان حريصا على تقديم النصائح لعماله، عندما تتاح له الفرصة للتنويه بحماسهم وعزمهم ولايفوته الإشادة بما يتسمون به من فضائل الرحمة والعدل، وحثهم على الرفق[2].

كان الولاة في هذه المقاطعات يتمتعون بصلاحيات عسكرية وقضائية ومالية واسعة النطاق وكان بعضهم يمارسون سلطات مطلقة، وبالتالي كان أهل تلك المناطق يوجهون شكاياهم إلى المعزّ في شكل عرائض أو بواسطة الوفود، فيتولى المعزّ بدوره باستقبالها في قصره بموكب رسمي، وبعدها يأمر بإجراء التحقيقات ويندد بالمظالم ويدين التجاوزات، التي يتسرع إلى قمعها وإقالة الوالي من وظيفته، وإذا حدثت اضطرابات يتدخل الجيش بإرجاع الأمن إلى نصابه، مثلما حدث في تاهرت لما ثار على المعزّ يعلى الزناتي [3]، وبعد انتقال المعزّ لدّين الله من إفريقية إلى مصر سنة 362هـ، أصبحت بلاد المغرب دار إمارة بعد أن كانت دار خلافة، وغدت ولاية من الولايات الفاطميّة بعد أن كانت قاعدة الخلافة[4].

2) النظام المالي:

يعد بيت المال مؤسسة إدارية مهمتها إدارة مداخيل الدولة ومصاريفها العامة[5]، ويقع تحت إشراف الخليفة وهو وحده الذي يختم عليه[6]، وعين الأستاذ جوذر مشرفاً عليه بالمنصورية الذي أوكلت نفس المهمة في عهد القائم حيث صرف إليه النظر في بيت المال[7].

---

(1) نفسه، ص151.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص273.

(3) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص471-472.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص156.

(5) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967م، ج1، ص222.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص96.

(7) الجوذري، المصدر السابق، ص39.

وإثر اعتلاء المعزّ العرش عهد بإدارة بيت المال إلى نصير الصقلبي الذي لقب بالخازن فلما دعي إلى الاطلاع بمهام عامل على المهديّة عوض عن جوذر الذي استدعاه المعزّ إلى المنصوريّة، وعين مكانه صقلبياً آخر وهو نظيف المعروف بالريحاني فتولى مهام الخازن في العاصمة القديمة التي أصبحت مصالحها الإدارية تكتسي صبغة محلية بعد تأسيس المنصوريّة[1].

كان الخراج من بين الموارد الهامة لبيت المال الفاطمي [2]، بالإضافة إلى الموارد الغزيرة التي توفرها الضرائب والرسوم وواردات الدكاكين التابعة لأملاك الدولة والإرادات التي يتحصل عليها الأئمة من الطائفة الإسماعيليّة في جميع أنحاء العالم الإسلامي فقد كان مفروضاً عليهم أداء أخماس ما يمتلكون وما يكتسبون إلى الإمام[3]، والتي تسمى ضريبة الخمس، بالإضافة إلى الهدايا التي تقدم لهم تقربا إلى الله Y فيغتنمون الفرصة ليسأل الله ليتقبل سعي أوليائهم المخلصين. كلّ هذه الموارد كانت توفر لخزينة بيت المال أموالاً طائلة، كما اجتهد المعزّ في جمع الأموال فقد أرسل حملات في أنحاء بلاد المغرب لتأتيه بالغنائم والأسلاب بأي طريقة[4]، في حين ذكر جوذر أنّ المعزّ كان حريصا على جمع المال الحلال فقد خاطبه قائلا: "وأسأل الله أن ترى في مخازيننا من أموال الحلال ما يكون لنا في جمعه الأجر عند الله وخزي لأعدائنا في الدنيا"[5]، وذكر المقريزي أن المعزّ استدعى صاحب بيت المال وهو بالمغرب فوجده في وسط القصر جالساً على صندوق وبين يديه الوف الصناديق مبددة في صحن القصر، فقال له: "هذه صناديق مال وقد شذّ عني ترتيبها فنظرها ورتبها"[6]

---

(1) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص478-479؛ الجوذري، المصدر السابق، صص39-86.

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص303.

(3) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص482–483.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص169.

(5) الجوذري، المصدر السابق، ص93؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص498.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص96.

بلغت عظمة الدولة الفاطمية أوجها في عهد المعزّ وأصبح للدينار الفاطمي قيمةً وشأناً ومنافساً للدينار العباسي حتى للدينار البيزنطي وضرب المعزّ السكة في المنصوريّة والمهدية بل أيضا في نواحي بلاد المغرب[1].

3) النظام العسكري:

الجيش هو العمود الفقري للدولة، والأسطول من أهم مقوماته بالنسبة للدولة المطلة على البحار، وقد حرصت الدولة الفاطميّة منذ نشأتها ببلاد المغرب على تكوين جيش قوي لحماية كيانها السياسي، والدفاع عن مصالحها الداخلية والخارجية إلى جانب الجيش أنشأت أسطولاً بحرياً استطاع أن يجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فاطمية[2].

أ) الجيش البري:

إنّ النواة الأولى للجيش الفاطمي تشكلت من أفراد قبيلة كتامة، والتي احتضنت الدّعوة الشّيعية الإسماعيليّة، وهي من أشد قبائل البربر بالمغرب[3]، ومع مرور الزمن تضاعف عددهم وقدّر سنة 296هـ/909م بـ 200 ألفاً ليرتفع عددهم إلى نحو 300 ألف [4]، فأصبح بحاجة إلى نظام خاص وزادت نفقاته، فأنشأ عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطميّة ديواناً خاصاً بالجيش، مهمته إدارة شؤون هذه المؤسسة وأطلق عليه اسم ديوان العطاء [5].

أمّا عن شروط الالتحاق في صفوف الجيش الفاطمي أو نظام الارتقاء في مراتبه مرهون بمدى تفاني الجندي في الخدمة، فإن ذلك من شأنه أن يرفع من رتبته في الجندية من جندي بسيط إلى قائد عام في الجيش[6]، وكان الخليفة الفاطمي هو القائد الأعلى للجيش والصادر للأوامر ويتولى الاشراف على تنظيم الصفوف.

---

(1) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص507.

(2) جمال الدّين سرور، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص175.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص7.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص118.

(5) نفسه، ص304.

(6) إدريس عماد الدّين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من عيون الأخبار، تح: محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1985م، ص85.

قام المعزّ لدّين الله الفاطمي عند توليه العهد إحداث تغيير في سياسة الجيش، ففسح المجال لغير الكتاميين للاستفادة منهم بشرط توفر الكفاءة والإخلاص للدولة، ويظهر ذلك جليا عندما قدّم جوهر الصقلي[1] على جعفر بن فلاح الكتامي[2]، وعين بلكين ابن زيري الصنهاجي[3] خليفة له بالمغرب عند رحيله إلى مصر، وبذلك تكون الجيش في عهد المعزّ من عناصر مختلفة منها الكتامية والصنهاجية والصقلبية والسودانية والرومانية، وكانت جيوش المعزّ تتكون من عنصرين هما: الجيش الدائم الذي يكون على أهبة الإستعداد للعمل وتلبية مطالب الدولة الحربية في كلّ حين، وإلى جانب هذا الجيش الدائم فرق من المتطوعة الذين يتطوعون في الجيش ويتسابقون إلى تلبية نداء المعزّ الذي كان يدّر عليهم الأموال[4]، ورغم غياب نصوص دقيقة تشير إلى قيمة الراتب الذي يتقاضاه الجندي الفاطمي، غير أنّ بعض القرائن توحي بأنّه كان راتباً مغرياً، وأنّ المبلغ المالي الهام الذي خصصه المعزّ للنفقة على جنده الذي سيره في حملة مصر سنة 358هـ/968م قدرت بعض المصادر قيمته بـ "مائة ألف دينار واثنتين وعشرين ألف درهم" [5]، وتقاضى الجندي الواحد في هذه الحملة من عشرين دينار

(1) هو جوهر بن عبد الله الرومي ابو الحسن القائد باني القاهرة والجامع الازهر، كان من موالي المعزّ لدّين الله الفاطمي سيّره إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدي فدخلها سنة 358هـ وأرسل الجيوش لفتح الشام وضمها إلى مصر، توفي سنة 381هـ في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي. أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص375؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص31 هامش 1؛ حسن علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963، ص9 وما بعدها من عدّة صفحات.

(2) هو ابو علي جعفر بن فلاح الكتامي من أكبر قادة المعزّ صحبه جوهر في فتح مصر ثمّ سار لفتح الشام، فاستولى على الرملة سنة 358هـ وعلى دمشق سنة 359هـ واقام بها إلى سنة 360هـ حين ظفر به الحسن الأعصم القرمطي فقتله في أواخر هذه السنة. أنظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص100 وما بعدها؛ حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف، المرجع السابق، ص93 وما بعدها؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص58.

(3) هو ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي مؤسس الدولة الزيرية بإفريقية في القرن 4هـ / 10م ونائب المعزّ فيها، قام بفتوحات كثيرة في بلاد المغرب لصالح الدولة الفاطمية وهو الذي قاوم محمد بن خزر زعيم

زناتة، واستولى على الزاب والمسيلة سنة 360هـ، وفي سنة 363هـ قام بحملة كبرى لتهدئة الاوضاع بالمغرب الأقصى. أنظر:
H.R.Idris ,Art : Buluggin, EI, Paris, 1960, t1, p1349 ; G .Marcais, Art : Zirides, EI, Paris, 1934,t4, p1300.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص176.

(5) الجوذري، المصدر السابق، ص92.

إلى ألف [1]، بالإضافة إلى الراتب إغراؤهم بالمناصب والمنح والعلاوات بالتكفل بعائلاتهم بعد الوفاة، فإذا مات جندي في المعركة أو أصيب بمكروه أثناء الخدمة، فإن الدولة تتكفل بالنفقة على عائلته وتحول كلّ حقوق الجندي المتوفي إلى أفراد أسرته[2].

ب) الجيش البحري:

اهتم المعزّ بتكوين أساطيل قوية، واتّخذ من المهديّة وسوسة مراكز أساسية لأسطوله في بلاد المغرب، كما كانت سفنه رابضة في موانئ صقلية تحت إشراف الأسرة الكلبية[3]، فقد ذكر القاضي النعمان أنّ المهديّة كانت غاصة بالسفن حتى أنّ الخليفة الفاطمي المعزّ عمل على اتخاذ قاعدة ثانية تخفف الضغط عن هذا الثغر، وهي سوسة كما ذكر أنّه ظهر بدار الصناعة بمدينة سوسة "سبعة مراجل أزلية الصنع متقنة وينفذ بعضها إلى بعض، وكانت مدفونة تحت الأرض إلاّ أنها تحتاج إلى بعض إصلاح، وإلى صهريج يجري عنه الماء إليها، وأنّها متى امتلأت ماء، واستغنى بها أهل المدينة عما هو خارج منها، وكانت ذخيرة للمراكب، ولغير ذلك ما يحتاج إليه"[4]، فرفع ذلك إلى الإمام المعزّ لدّين الله فسر به، وأمر بإصلاحها وإصلاح هذا الصهريج وأن يبني مسجد[5]، وكان قبل ذلك قد ذكر له تضايق دار الصناعة بالمهدية بالمراكب وكثرتها فذكر عمارة دار الصناعة بسوسة ولإنشاء بها[6]، وبذلك أصبح للمعزّ ميناءان هامان يعتمدان على دور الصناعة فيهما في إخراج السفن، وكان يعمل على أن يجعل حاضرته المنصوريّة ميناءً ثالثاً من موانئه الرئيسية ويدل على ذلك قوله: "لئن امتد المقام هاهنا – أي في المنصوريّة– لنجرين البحر بحول الله وقوته إلينا في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا"[7].

(1) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص62.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص531.

(3) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص184.

(4) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص530.

(5) نفسه.

(6) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص185.

(7) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص530.

وبهذا نرى أن المعزّ كان يهتم بتكوين أساطيل قوية، وإتّخذ من المهديّة وسوسة مراكز أساسية لأسطوله الإفريقي، ويرجع الفضل له في فتح مصر فقد كان الأسطول واسطة اتصالات بين جيوش جوهر الغازية وبين المعزّ في المغرب، وفتح رمطة وطبرمين بصقلية (المعركة البحرية التي تسمى واقعة المجاز)، كما هدد المعزّ بأسطوله البحري الإمبراطورية البيزنطية[1].

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص186.

ثالثا: سياسة المعزّ الداخلية ببلاد المغرب

1) سياسة المعزّ مع زعماء المغرب الأقصى (ابن واسول وأحمد بن بكر الجذامي):

تسلم المعزّ الخلافة سنة 341هـ/952م اضطر لحماية دولته وإقرار الأمن في ربوعها، فقام بجهود جبارة في سبيل إخضاع جميع بلاد المغرب، فكلف قائده جوهر الصقلي سنة 347هـ/958م بإعادة جميع المناطق المتمردة في المغرب الأقصى وهي سجلماسة وفاس[1]، فقام محمّد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بن وسول- الذي كان على المذهب الصفري الخارجي فتخلى عنه واعتنق المذهب السنّي- الاستبداد بحكم سجلماسة حيث تلقب بالشاكر لله وادعى الخلافة وضرب السكة [2]، وبهذا ضاعف من تحديه للخلافة الفاطميّة وساعده على ذلك بعد سجلماسة عن إفريقية، واضطراب أوضاع الفاطميين في أيام القائم والمنصور، بالإضافة إلى الدوافع المذهبية فقد ظل أهل سجلماسة خوارج إباضية وصفرية ورفضوا بشدة قبول التشّيع الاسماعيلي الذي سعت الخلافة الفاطميّة إلى فرضه والسياسة المالية الفاطميّة الجائرة لذا كان أهلها يثورون كلما سمحت لهم الفرصة[3]، فتمتع الخليفة الشاكر لله بالاستقرار والبعد عن الخطر الفاطمي طوال أيام المنصور ومع السنين الأولى من حكم المعزّ ثمّ ما لبث المعزّ أن رأى وجوب القضاء على حكم الشاكر لله فكلف قائده جوهر الصقلي سنة 347هـ/958م بقيادة حملة على سجلماسة[4]، التي يقول فيها القاضي النعمان: "ولما تمادى أمر العين ابن وسول وارتكب ما ارتكبه وتعطى ما تعاطاه من التغلب بسجلماسة، وخلع طاعة الأئمة وتسمى بالإمام أمير المؤمنين الشاكر لله، وهو الكافر بالله Y لعظيم ما ارتكبه من نهيه، ورأى المعزّ لدّين الله جهاده لعظيم جرمه وأنه لا يسعه تركه لما تعدى إليه وتعاطاه، فأنهض إليه عسكرا فأمكنه الله Y من رحمته من غير يد لأحد من الخلق عليه فيه"[5].

(1) H.Terrasse, Histoire du Maroc des origines a letablissement du protectorat Français, Edition Atlantides, Casablanca, 1949, p186.

(2) محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص84؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق،ص32.

(3) صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص206-207.

(4) نفسه، ص207.

(5) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص388-389.

لما قربت جيوش جوهر إلى سجلماسة خرج منها ابن وسول هاربا، وضرب على المدينة حصاراً لمدة ثلاثة أشهر ودخلها واطمأن على أهلها وعاملهم معاملة حسنة، فتمكن من القبض على ابن وسول وهو متسلل إلى المدينة فأسره وحمله إلى المعزّ في المنصوريّة الذي شهر به[1]، وهكذا عادت طاعة سجلماسة للخلافة الفاطميّة واكتفى المعزّ بمجيء وفد للاعتذار منه دون المطالبة بتعويض أو فرض لأية غرامات مالية على أهل سجلماسة، وقد قام كما حدثنا القاضي النعمان بمعاملة هذا الوفد معاملة حسنة، واكتفى بالمطالبة بالطاعة السياسية ولم يتعرض للمسألة المذهبية لا من قريب ولا من بعيد[2]، وتطلع المعزّ لاسترداد مدينة فاس التي استبد بحكمها موسى بن أبي العافية وانقلب عن الفاطميين وأعلن استقلاله عنهم وطلب المساعدة من أمويّ الأندلس، مستغلا إنشغال الفاطميين بثورة مخلد بن كيداد فأعلن عن قطعه لصلاته بهم، وصار يخطب لعبد الرحمن ناصر[3]، فقام بتوسعات على حساب أراضي الفاطميين بالمغرب الأقصى[4]، وأرسل المعزّ جيشا بقيادة والي تاهرت حميد بن يصال الذي تمكن من اخضاع مدينة فاس للفاطميين، وإنزال هزيمة بقوات موسى بن أبي العافية التي تخلت عن المدينة فعين عليها واليا فاطميا، ولكن بمجرد انسحاب قواته تمكن أحمد بن بكر بن سهل الجذامي حليف موسى بن أبي العافية من قتل الوالي الفاطمي وبعث برأسه إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الامويّ[5]، فجهز المعزّ حملة عسكرية عملاقة سنة 348هـ/958م بقيادة جوهر الصقلي فزحف على مدينة فاس وضيق الحصار عليها، وأشعل بها نار الحرب من كلّ ناحية لمدة ثلاثة أيام متتالية ثمّ دخلها بالسيف[6].

(1) البكري، المصدر السابق، ص151.

(2) صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص208-209؛ القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص390-391.

(3) هو ابن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن الحكم بن هاشم بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، لقب بالناصر لدّين الله وكني بابي مطرف هو اول من تسمى في الاندلس بالخلافة وبامير المؤمنين تولى الحكم من 300هالى 350هـ. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص46.

(4) صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص187.

(5) نفسه، ص188.

(6) محمد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص84.

بذلك استطاع جوهر الصقلي أن يمد نفوذ الفاطميين إلى سواحل المحيط الأطلسي، ولم يمتنع عليه من بلاد المغرب سوى مدينتي سبتة وطنجة، وقدم السلاوي وصفا لما قام به جوهر وتحدث عن انصرافه عائدا: "بعد أن دوخ البلاد، وأثخن فيها، وقتل حماتها، وقطع دعوة الناصر فيها وردها إلى العبيديين، فخطب للمعزّ على جميع منابر المغرب، وانتهى القائد جوهر إلى المهديّة، وقد حمل معه أحمد بن أبي بكر أمير فاس وخمسة عشر من شيوخها، وحمل أيضا محمّد ابن أبي الفتح أمير سجلماسة، ودخل بهم أسرى بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجمال، وجعل على رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة منبتة بالقرون، فطيف بهم في بلاد إفريقية، وأسواق القيروان، ثمّ ردوا إلى المهديّة، وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها"[1]، ومع هذا ظل النصر الذي حققه جوهر يفتقر للديمومة، فهو قد استباح مدينة فاس ولكنه لم يترك حامية دائمة عليها.

2) سياسة المعزّ مع القبائل البربرية:

تصدرت قبائل المغرب في عهد الدولة الفاطميّة بشكل عام، وفي عهد المعزّ بشكل خاص ثلاث مجموعات قبلية كبرى وهي: كتامة وصنهاجة وزناتة.

أ) مع قبيلة كتامة:

تعتبر قبيلة كتامة عصب الدولة الفاطميّة، وأساس ظهورها، ففي ديارها انتشرت الدّعوة الإسماعيليّة، واحتضنوها، وعلى سواعد أبنائها قامت الدولة الفاطميّة، استمرت على حساب الأنظمة السياسية والمذهبية في إفريقية وبلاد المغرب [2]، ويشهد لها الكثير من المؤرخين بذلك مجمل التاريخ الفاطمي في المرحلة المغربية هو تاريخ قبائل كتامة وإنجازاتها[3]، فتميزت

العلاقات بين الخلفاء الفاطميين عبيد الله القائم، المنصور، وكتامة بالتوتر والفتور في بعض الأحيان، في سنة 297هـ/909م ظهر أول تمرّد كتامي غير أن عبد الله نجح في القضاء

[1] السلاوي، الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص86-87؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص59.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص434.

[3] صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص237.

عليه[1]، كما استعان أبو عبد الله بكتامة عندما حاول الثورة على عبيد الله، ولما قضي عليه هذا الأخير، أعلن بعض الكتاميين العصيان، وقدموا عليهم رجلا يدعى الماوطي اسمه كادو بن معارك ادعوا أنّه المهدي المنتظر، وتمكن القائم من القضاء عليه بعد جهود كبيرة سنة 300هـ/912م، فأسره مع أصحابه إلى القيروان، وطيف بهم على الجمال ثمّ قتلوا جميعا في رقّادة[2]. وفي سنة 334هـ/945م قام بعض الكتاميين بثورة، فستغلوا انشغال المنصور بقتال الخوارج، وادعى أصحابها الألوهية، ولكن المنصور تمكن منه وأمر بقتله[3]، وهذه الثورات كانت جهوية وقليلة التنظيم، ولم يكتب لها النجاح، فزعماؤهم لم يتمكنوا من استقطاب كلّ الكتاميين حولهم، الأمر الذي جعل الفاطميين يخمدونها بواسطة الكتاميين الموالين لهم، وعندما تولى المعزّ لدّين الله الحكم، وعمل على إعادة كتامة إلى سابق عهدها، وقد ذكر لنا الأستاذ جوذر أن المعزّ في خطبته العامة الأولى قال مخاطبا كتامة: "معاشر أوليائنا، والقائلين بطاعتنا، والمتمسكين بولايتنا هذه المحن الشداد، المنضجة للأكباد، هذه المشاهد التي لم يألكم أئمتكم لها تثبيتا، ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم، ووقوع المحنة فيها عليكم، فتثبتوا تسلموا، ولا تضلوا لتندموا"[4]، وختم خطبته بالدعاء لكتامة قائلا:" وأخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين من رحمتك بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك، وموالاة أولياءك ومعاداة أعدائك[5]، وأثنى عليهم وبدورهم في ثورة أبي يزيد قائلا:"وأذاقوهم طعم الموت، أحلوهم محل الذلة وأزجوهم بضياء السيوف

وحد الرماح، حتى ألجوهم قمم الجبال، من أطراف البلاد، ثمّ استنزلوهم منها قسراً وأبادهم قتلا"[6]، كما بالغ بوضعهم بعدة صفات كالأنبياء والإخوة والأقربين، ومن ذلك قوله:" أنتم البنون والإخوة والأقربون

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص160.
[2] نفسه، ص166.
[3] القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص324؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص200.
[4] الجوذري، المصدر السابق، ص80.
[5] نفسه، ص83-84.
[6] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص79.

ولا يعد لكم عندي أحد، ولا يبلغ مبلغكم من قلبي أحد، وما ذلك إلاّ لما لي في قلوبكم"[1]، ورغم هذا نجد المعزّ يهاجمهم دون أن يراعي في ذلك أي اعتبار، ويصفهم بأبشع الصفات، وذلك من خلال جوابه على خطاب وجههم إليه جوذر بشأن نزاع وقع فيه رجل كتامي يدعى ربيع بن موات، وبين وكيل لجوذر فأجابه المعزّ بقوله:"فلان يكون العدل منك فيهم، أولى من أن يكون من هؤلاء السفلة والله يثمر لك حيثما ترضاه"[2]، رغم هذا التصريح لم يقم الكتاميون بأي تمرّد ضده. في الجهة المقابلة حرض المعزّ على محاولة التوفيق بين كتامية وعبده الصقالية، والتعاون بينهم، حيث حاول إفهام الصقالبة أن لكتامة مكانة عنده، ودوراً فعالاً في خدمة الدّعوة الشّيعية، والأئمة الفاطميين، ونراه هنا يشيد بولاء كتامة للدولة الفاطميّة، ويصفه بالولاء الروحي الطوعي على عكس الصقالبة الذين كان ولاؤهم اضطراريا، حيث يقول:"لو ترك الصقالية في بلدانه ما كانوا أتوا للأئمة، وأطاعوهم واعتنقوا مذهبهم"[3]، ومحاولة المعزّ لكبح طموحات السياسية، ولرد الاعتبار لكتامة ودورها الريادي، وتعتبر العناصر الكتامية نواة الجيش الفاطمي وعصبته، فقد ناصروا الدّعوة الإسماعيليّة ودافعوا عن مبادئها بما عرفوا به من قوة وشدة بأس، ما وصفها ابن خلدون أنها من أشد قبائل البربر بالمغرب[4]، وهذه الخصائص جعلت خلفاء الفاطميين يسعون منذ البداية إلى استمالة عناصرها واستغلال إمكانياتهم القتالية[5]، وقام المعزّ بإحداث تغييرات في سياسة الجيش أفسح المجال لغير الكتاميين، لكي

يلعبوا دورهم فيه، وقدّمهم على الكتاميين ومن ذلك حين قدم جوهر الصقلي على الكتامي جعفر بن فلاح[6]، ولكنه أشرك كتامة في غزوة سجلماسة، ولبّى هؤلاء نداءه دون تردد وقطعوا المسافة بين المنصوريّة وسجلماسة دون أن يفسدوا في الأراضي[7].

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص449.

[2] الجوذري، المصدر السابق، ص122.

[3] الجوذري، المصدر السابق، ص41-42؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص63-64.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7 ، ص7.

[5] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة ، المرجع السابق، ص44.

[6] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص61.

[7] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص255.

حينما حشد المعزّ الجيوش لفتح مصر بقيادة جوهر الصقلي وكان أغلبهم من الكتاميين وبعد نجاح جوهر في فتح مصر وبناء مدينة القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر[1]، وإقامة الدّعوة الفاطميّة[2]، وعزم المعزّ الانتقال إلى مصر، وعيّن بلكين ابن زيري الصنهاجي الأصل على بلاد المغرب [3]، دون أن يختار شخصية كتامية، وبذلك أدار ظهره لرجال صنعوا بالأمس أمجاد أجداده. ومن أبرز الشخصيات الكتامية التي برزت في عهد المعزّ جعفر بن فلاح الكتامي، ابن عطاء الله والي قابس، وصول متولي ديوان الخرج في إفريقية، عبد الله بن يخلف عامل طرابلس، عسلوج بن حسن الدنهاجي، أفلح بن ناسب عامل برقة[4].

ب) مع قبيلة زناتة:

تعتبر قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية في بلاد المغرب ، والمتتبع لتاريخ هذه القبيلة خلال أواخر القرن 3هـ/9م، يلاحظ عدم وجود أي دور لهذه القبيلة في قيام الدولة الفاطميّة، بل على العكس من ذلك كانت علاقاتهم تتسم بالعدائية[5]، أمّا عن أسباب هذه العلاقة المضطربة بين الطرفين ذكر ابن الاثير أن موقعها الاستراتيجي الهام كهمزة وصل بين المغرب الأقصى من جهة، وبقية أجزاء المغربين الأوسط والأدنى من جهة أخرى، جعلها تكون تابعة للدولة الرستميّة سياسيا ومذهبيا (خوارج الإباضية)، ومناهضة

للدعوة الإسماعيليّة الشّيعية قبل قيام الدولة الفاطميّة وبعد قيامها. أظهر الزناتيون عداءهم للدعوة الفاطميّة قبل قيام دولتهم، فعندما توجه الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي إلى سجلماسة، لفك أسرى المهدي ضن الزناتيون أن أتى إليهم ليهاجمهم، فخرج إليه أميرها محمّد بن خزر وطلب منه العفو والسماح فوافق على طلبه شريطة عدم تعرض رجاله له[6].

[1] بناه جوهر الصقيلي في 17 رمضان 361هـ/22 يونيو 972م، يقع في جنوب الشرقي لمدينة القاهرة، ويسمى بالأزهر نسبا لفاطمة الزهراء بنت الرصول (ص). شوقي عطا الله الجمل، الازهر ودوره السياسي والحضاري في افريقيا، دط، مركز وثائق مصر المعاصر، 1988م، ص11-12.

[2] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 2001م، ص148.

[3] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص61.

[4] نفسه، ص63؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص227-228.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص84؛ محمّد صالح مرمول، المرجع السابق، ص181.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص133.

في عهد عبيد الله المهدي أراد "محمّد بن خزر" أن يظفر بتيهرت وكان عاملها آنذاك داوس بن صولات، الذي تفطن للمؤامرة وأحبطها بفضل مساعدة أهل تاهرت له [1]، وفي سنة 299هـ/911م، أعاد ابن خزر الكرّة، فاضطر عاملها الهرب من تاهرت فاستولى عليها، وقتل الرجال والنساء ونهب الأموال، فأرسل المهدي جيشا كبيرا استطاع تشتيت شمل زناتة، وإخراجهم من المدينة وولى عليها مصالة بن حبوس المكناسي، من قبيلة مكناسة حتى يضرب القبيلتين معا أي مكناسة وزناتة [2]، وعموما فهذا الموقف العدائي الذي اتخذته زناتة من الفاطميين من قتل وتشريد واضطهاد بعد إسقاطهم للدولة الرستميّة[3]، فأثارت قبائل زناتة عدّة ثورات في عهد المعزّ، في مختلف مناطق المغرب، ولكنه تمكن من إخمادها بوسائل شتى سياسية وعسكرية، حيث نهض لقتال الثائرين، عقب توليه الخلافة بكل حزم وعزم. وجد في الأمر، وشدد الخناق على المخالفين، حتى أتاه أغلبهم طائعا، فدانت له البلاد. قام في بداية عهده بحملة تمشيطية لمواطن زناتة وجميع المعارضين له في جبل الأوراس والتي لم تخضع من قبل لطاعة تقدمه[4]، وتكلم عنها المقريزي في قوله:"جالت عساكره في جبل الأوراس، وكان ملجأ كلّ منافق على الملوك، يسكنه بنو كملان ومليلة وبعض هوارة، ولم يدخلوا في طاعة من تقدمه فأطاعوا المعزّ"[5]، وكان ذلك سنة 342هـ/953م بقيادة جوهر الصقلي مرفوقاً بزيري بن مناد، وكما

سيّر المعزّ حملة ثانية سنة 347هـ/958م وقد شهدت هذه الحملة نزوح القبائل الزناتية خوفا من حجافل الجيش الفاطمي، فبعد معركة دارت بينهما هزمت قبائل بني يفرن الزناتية، وقتل أميرها يعلى بن محمّد اليفرني وتشتت شمل الزناتيين [6].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص155.

[2] محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص175.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص84.

[4] Farhat Dachraoui , op cit, p222.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص84؛ محمّد صالح مرمول، المرجع السابق، ص181.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص133.

ويقول ابن خلدون حيال هذه المسألة:" لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعزّ بيعلى بن محمّد أمير بني يفرن وملك المغرب أكثر من سنة سبع وأربعين وتفرقت جموع بني يفرن"[1]، ودامت هذه الحملة التمشيطية أكثر من سنتين، ثمّ رجع جوهر إلى المهديّة بعد أن أخضع جميع بلاد المغرب باستثناء مدينة سبتة التي كانت تحت الحكم الأموي[2]، وإن أكبر وأخطر الثورات الزناتية ضد الفاطميين في عهد المعزّ لدّين الله، هي ثورة أبو خزر الزناتي سنة 358هـ/968م الذي دعى للناصر الأموي، وانتشرت دعوته وثورته، حتى بلغ مدينة باغاية، فخرج إليه المعزّ بنفسه، وفرق عنه جموع البربر، ولم يظفر به فقد سلك الأوعار ثمّ خفي أثره، فعاد المعزّ إلى مستقره بالمنصورية، وكلف بلكين بن زيري ملاحقة فلوله، فطارده هذا الأخير حتى خفى عليه أمره، وفي ربيع الثاني سنة 359هـ/ فبراير 970م، وصل أبو خزر على إثره طالب الأمان، والدخول في الطاعة، فأمنه المعزّ وأدناه، ومنحه الهبات السخية، وأخذه معه إلى مصر حينما رحل إليها حتى لا يكون له بعده أمر [3].

ج) مع قبيلة صنهاجة[4]:

تحالفت قبيلة صنهاجة مع الدولة الفاطمية بسبب العدو المشترك بينهما وهي قبيلة زناتة، حيث كان عداء صنهاجة لزناتة منذ القدم وتمثل في العداء بين بتر والبرانس[5]،

حيث رأت صنهاجة في الدولة الفاطمية خير حليف يساعدها على حروبها ضد الزناتيين بينما رأت الدولة الفاطمية في الصنهاجيين السّد المنيع الذي يحمي الجهة الغربية ويحد من خطر زناتة عليهم[6].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص155.

[2] محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص175.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص35؛ محمّد الحاج صالح مرمول، المرجع السابق، ص83.

[4] هي قبيلة بربرية من فرع البرانس تنسب إلى ولد صنهاج، وشكلت حيّز كبيرا من بلاد المغرب حتى قيل أنها تمثل ثلث البربر فهي أوفر القبائل عددا وأكثرها سعتا وإنتشارا. أنظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص201-202.

[5] حول هذا العداء أنظر: سعدون نصر الله عباس، دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص21.

[6] صالح مرمول، المرجع السابق، ص172.

ظهرت أهمية قبيلة صنهاجة للدولة الفاطمية في عهد المنصور أثناء ثورة أبي يزيد[1]، واستعان الخليفة المعزّ لدّين الله بزعيم هذه القبيلة زيري بن مناد في حملته لإخضاع سكان بني كملان ومليلة وهوارة في جبل الأوراس سنة 342هـ/954م، وأمر قائده جوهر الصقلي أن يأخذه معه في حملته على المغرب الأقصى سنة 347هـ/958م[2]، قام المعزّ بتجريد زيري بن مناد من كل مناطقه إلاّ أشير ووضع تحت سيطرته كل ما يفتحه ويفتكه من زناتة[3]، واستطال زيري على بوادي المغرب وبسط على قبائل زناتة النازحين على جعفر بن علي صاحب المسيلة وبلاد الزاب، فتجمعت حوله زناتة وبادر إليهم سنة 360هـ/971م فاشتد القتال بينهم وانتهت بمقتله، فخلفه ابنه بلكين بن زيري الذي واصل ما بدأه والده في مطاردة الزناتيين[4]، وعندما عزم المعزّ المسير إلى مصر، شغل تفكيره فيمن يخلفه على ولاية بلاد المغرب، ووصف لنا ابن خلدون الذي سيخلفه بقوله:"ممّن له العناء والإطلاع، وبه الوثوق من صدق التشّيع، ورسوخ القدم في دراية الدولة"[5]، وقصد المعزّ أول حلفائه صاحب المسيلة وإقليم الزاب[6]، جعفر ابن علي الأندلسي[7]، وعرض عليه الأمر فرد عليه قائلا:"تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر، وأنا أدبر، ولا تسألني عن شيء من الأموال، لأن ما أجبيه، يكون بإزاء ما أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلته، من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه، لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج و غيره من قبل نفسي"[8].

---

(1) رشيد بوروبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، 1977م، ص9 وما بعدها من صفحات؛ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص95-96.

(2) ابن حماد، المصدر السابق، ص33؛ ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج8، ص174.

(3) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص96.

(4) هادي روجر إدريس، المرجع السابق، ج1، ص63؛ مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص133.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص205.

(6) اسم لإقليم واسع يتضمن عدّة مدن أهمها طبنة ونقاوس والمحمدية. أنظر:
G.Yver, Art : Zab, EI, Paris, 1936, t3, p1246.

(7) هو جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي كلف والده ببناء مدينةالمحمدية (المسيلة) في عهد القائم بأمر الله ولما هلك في حركة ابي يزيد صار جعفر أمير الزاب حتى سنة 360هـ حين خرج إلى الاندلس بسبب خلافاته مع بلكين بن زيري، مدحه الشاعر ابن هانىء الأندلسي. أنظر: البكري، المصدر السابق، ص59.

(8) علي فيصل عبد النبي عامر، السياسة الخارجية للخلافة الفاطميّة(358هـ-427هـ/968م-1035م)، رسالة مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الكوفة بالعراق سنة2007، ص107.

لكن رده هذا أزعج المعزّ وفهم من خلاله أنّه يريد الاستقلال لبلاد المغرب، فأجابه قائلا:"يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري، واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك"[1]، فخرج عنه ثمّ توجهت أنظار المعزّ إلى حليفته كتامة، فبعث إليها صاحب سيره "خفيف الصقلي" يخبرهم بأنه سيستخلف عندهم رجالا، وهم ملزمين بدفع الجزية له، فكان جوابهم أن رفضوا بقولهم:"كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة؟"[2]، وقد أثر جوابهم هذا في نفس المعزّ، وأدرك أنّ الكتاميين سيخلعون الطاعة للفاطميين، بمجرد انتقالهم إلى مصر رغم هذا فضل المعزّ إلاّ يظهر لهم شيئاً، وأنهى حديثه بمباركتهم، وأوضح لهم بأن ما أخبرهم به ما هو إلاّ اختبار لهم[3]. وأدرك أنّه لا خيار أمامه سوى قبيلة صنهاجة، فدعا زعيمها زيري بن مناد، وأبناءه العشرة، واختار فوقع اختياره على بلكين بن زيري، فخاطبه المعزّ قائلا:"تأهب لخلاف المغرب"، فاندهش لما قال له المعزّ فكبر ورد عليه:"يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة، من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ما صفا لكم المغرب،

فكيف يصف لي، وأنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح"[4]، ولكثرت ما أصر عليه المعزّ أجابه إلى طلبه، بشرط أن يعين بنفسه من يتولى القضاء والخراج[5].

فتحقق هدف المعزّ في تولية بلكين بن زيري واليا على المغرب وإفريقية، وسماه يوسف، وكناه أبى الفتوح، ولقبه سيف الدولة[6]، وعلى الرغم من تشكيك أحد أعمام المعزّ في كلام بلكين عندما قال للمعز:"يا مولانا، وتثق بهذا القول من يوسف إنّه يفي بما ذكره"، لكن المعزّ

---

[1] المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج1، ص352.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص98-99.

[3] المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج1، ص352.

[4] نفسه، ص353.

[5] محمّد عبد الحي شعبان، لماذا أقام الفاطميون دولتهم في إفريقية ونقلوها إلى مصر، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطميّة، الدورة الثانية، المهديّة، من4-7 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ص152.

[6] الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1983م، ج1، ص42.

أكد ثقته فيه بقوله:"يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر؟، فاعلم يا عم أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف، وإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر، ولكن هذا أولى وأحسن عند ذوي العقل، وهو نهاية ما يفعله من يترك دياره"[1]، وهنا يعترف المعزّ ضمنيا بأنّ بني زيري سيستقلون على بلاد المغرب مهما طالت المدة، ولذلك استثنى منطقة طرابلس من سيطرت بني زيري وجعل عليها عبد الله بن يخلف الكتامي[2].

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص99-100.

(2) أبو حفص زين الدّين، عمر الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، المطبعة الوهابية، ط1، 1854م، ص41.

الفصل الثالث:

السياسة الخارجية للمعزّ لدّين الله الفاطمي

أولا: علاقات المعزّ في حوض البحر الأبيض المتوسط

ثانيا: سياسة المعزّ مع الدّولة العباسية

ثالثا: فتح مصر وإنتقال المعزّ إليها

أولا: علاقات المعزّ في حوض البحر الأبيض المتوسط:

1.علاقة المعزّ مع الخليفة عبد الرحمن الناصر الأمويّ بالأندلس:

امتازت العلاقات السياسية بين الأندلس[(1)] والدولة الفاطميّة بالتنافس والصدام المسلح في كثير من الأحيان، ويرجع ذلك للخلاف المذهبي، المذهب الإسماعيلي الشّيعي في دولة الفاطميّة من جهة والمذهب السنّي في الدولة الأموية بالأندلس من جهة أخرى، كذا تنافر المصالح حيث سعى كلّ طرف الدفاع عن ذاته عن طريق التوسع في مناطق الطرف الآخر، ويضاف إلى هذا أن كلا الدولتين كانتا متوسطتين اهتمتا بالتجارة البحرية وسعى الفاطميون منذ تأسيس دولتهم إلى التوسيع رقعتهم على حساب الأندلس[(2)]، فأوفدوا إليها الدعاة لنشر مذهبهم وأفكارهم الشّيعية، وأوكلت إليهم مهمة التجسس لمعرفة أحوالها في شتى المجالات ونذكر منهم: ابن حوقل[(3)]، الذي دخل الأندلس بزي تاجر وركز اهتمامه على النواحي العسكرية والاقتصادية، فوصف عساكرها بقلة الشجاعة والقوة وعدم قدرة أهلها على التصدي للغزاة فقال:"ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع ضفر أحلام أهله، وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم عن الشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الإنجاد والأبطال"، كما نوه بكثرة خيراتها وتنوعها وعلو دخل الدولة بقوله:"وعلم موالينا عليهم السلام

---

(1)كلمة غير عربية لم يستخدمها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب بعد الفتح الإسلامي، وارض الأندلس من على البحر تواجه من ارض المغرب تونس إلى طبرقة إلى الجزائر بني مرغناي ثمّ إلى نكور ثمّ إلى سبته، ثمّ إلى أزيلي ثمّ إلى المحيط الأطلسي، أمّا اسم الأندلس فهو محرف عن الوندال، طولهما دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة ودورها أكثر من ثلاثة أشهر ليس فيها ما يتصل بالبر إلاّ مسيرة يومين والحجاز بين بلاد الأندلس والافرنجة جبال البرت. ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تح وتق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص70؛ ارسلان شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ج1، ص32.

(2) سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000م، ص79.

(3) هو محمّد بن علي البغدادي الموصلي يكنى بأبي القاسم، ويلقب باين حوقل، ويجهل وقت ولادته، تربى في بغداد، وتلقى تعليمه على يد كبار العلماء فيها، ودامت رحلاته أكثر من 30عاما، وزار كلا من مصر وبلاد الشام، والعراق، والجزيرة العربية والأندلس وغيرها، توفي بالأندلس عام 367هـ/978م، له كتاب مشهور يعرف بصورة الأرض. علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، د.ط، مكتبة التوبة، السعودية، 1989م، ص107-108.

بمحلها في نفسها ومقدار جباتها وموقع نعمها ولذاتها"[1]، وواجهت الدولة الفاطميّة في إفريقية بعد إعلان عبد الرحمن الناصر[2]، (300-350هـ/912م-961م) الخلافة في الأندلس سنة 316هـ/929م عداء الخلافة العباسية في المشرق وعداء الخلافة الأموية في الأندلس من جهة المغرب سعت الدولة الفاطميّة إلى أخذ دور هاتين الدولتين بقدر استطاعتها فاستقطعت شرقا الأراضي التي كانت تحت السيادة العباسية وعملت نحو الغرب عن طريق دعاتها محاولة إحكام سيطرتها على المغرب وقد واجهت الدولة الفاطميّة فيه الكثير من المتاعب بسبب عدم تقبلهم المذهب الإسماعيلي[3]، وقد كان اتخاذ عبد الرحمن لقب الخلافة ربما كان بسبب قيام الخلافة في الجانب الآخر من البحر المتوسط وانسياب دعوتها إلى المغرب الأقصى على مقربة من شواطئ الأندلس، لذا سعى عبد الرحمن إلى إحياء تراث الخلافة الأموية الروحي، بعد أن توطد دعائم دولته في الأندلس[4]، وكانت بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر يحيط بها الأعداء من كلّ جانب فمن الشمال سقطت برشلونة[5]، والممالك الاسبانية في الأقاليم الجبلية تهدد بلاده إلى جانب المنافسة السياسية مع الفاطميين، وكانت سياسة الفاطميين في مواجهة الأمويين ترتكز على كسب قبائل المغرب والسيطرة عليه لتكون في مواجهة مع الأمويين في الأندلس إلاّ أنها فشلت في إخضاع قبائل المغرب الأقصى وأحيانا قبائل

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص103.

(2) هو عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله يكنى أبو المطرف وأمه أم ولد واسمها(مزنه)، ولم يزل منذ ولي يستنزف المغلبين حتى تمكن من إنزال جميعهم في خمسة وعشرين سنة من ولايته حتى صارت جميع أقطار الأندلس في طاعته، ثمّ اتصلت ولايته إلى إن مات في صدر رمضان سنة 350هـ/961م، ولم يبلغ احد من بني أمية مدته فيها. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ص26.

(3) جاستون فييت، القاهرة "مدينة الفن والتجارة"، تر: الدكتور مصطفى العبادي، نشر بالاشتراك فلرنكلين للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك، 1968م، ص37؛ ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، تر: محمّد بدران، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت ،د.ت ، مج4، ج2، ص283-284.

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1960م، ص391؛ المعاضدي خاشع، تاريخ الدولة العربية في الأندلس (92هـ-897هـ/711م-1492م)، مطبعة التعليم العالي بغداد 1988م، ص116.

(5) مدينة للروم بينها وبين تركونة خمسين ميلا، وبرشلونة تطل على البحر ومرساها لا تدخله المراكب إلاّ عن معرفة. الحميري، المصدر السابق، ص86.

المغرب الأوسط، فعندما خلع موسى بن أبي العافية[1] طاعة عبد الله المهدي بعد أن استحوذ على المغربين الأقصى والأوسط ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر، خطب له على منابر المغرب سنة319هـ/931م وبعدها سيطر موسى على مدينة تلمسان ونكور[2] إضافة إلى فاس، ولكن هذه الخطبة لم يكتب لها الدوام حيث تعرضت للقطع خاصة بعد فرار موسى بن أبي العافية من مدينة فاس أمام الجيوش الفاطميّة، ثمّ أعيدت الخطبة مرة أخرى زمن الخليفة القائم الفاطمي (322هـ-334هـ/934م-946م)[3]، ولذا كان على الدولة الأموية في الأندلس أن تفكر في أمر هؤلاء الفواطم خاصة بعد أن نادوا بإمامتهم على المسلمين وهو اسم ساحر له تأثير قوي في نفوس المسلمين، وقد أرسل الفاطميون دعاتهم إلى أرجاء متعددة من الأندلس وخاصة الدعاة الذين عرفوا بالعلم والخبرة بطبائع النفوس مثل العالم الجغرافي المعروف (ابن حوقل) المتوفى سنة 367هـ/977م الذي رحل إلى الأندلس وعند عودته اتصل بالخلافة الفاطميّة وبين لهم ضعف النظام السياسي فيها وغنى تربتها بالخيرات وقد أحدثت فتوحات الفاطميين نحو المغرب قلقا بالغا في نفوس أموي الأندلس لذا عمل عبد الرحمن على إثارة الفتن والقلاقل بين القبائل البربرية لتكون له خطا دفاعيا أماميا بوجه الفاطميين فضلا عن قيامه بالعمل على إخضاع سبته[4] ومليلة[5] لسلطته المركزية لتكون خطا دفاعيا عن الأندلس أسهم

---

[1] هو موسى ابن أبي العافية بن أبي بسال بن أبي الضحاك المكناسي أسس الإمارة المكناسية بمراكش، وتعرف بإمارة آل أبي العافية ثمّ ضم مدينة فاس سنة 313هـ/925م ودخل في قتال مع الأدارسة وأجلاهم عن بلادهم. نقض دعوة المهدي الفاطمي سنة 319هـ/931م وخطب لعبد الرحمن الناصر الأموي، فسير المهدي إليه من يقاتلهم، وظلت الحرب سجالا بين الطرفين وقتل في قلوريا، وكان شجاعا. أنظر: ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص83-86؛ الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص323-324.

[2] مدينة تقع في المغرب قديمة تقع قرب الوادي المسمى باسمها ومزال إطلالها موجودة إلى اليوم. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص84.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص84-85؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص39-40؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص248؛ الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص324.

[4] بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب مرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس، وهي مدينة حصينة تشبه المهديّة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص17.

[5] مدينة تقع في المغرب قريبة من سبته على ساحل البحر. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص19.

في رصد قبائل زناتة في المغرب بكل الإمكانيات المادية والبشرية لتواجه الخطر الفاطمي[1]، والعمل على إضعاف النفوذ السياسي للفاطميين في المنطقة لخلق حالة من التوازن بين القوى المتصارعة[2]، وكانت الدولة الفاطميّة في قوتها تهدد طرفي إفريقية، أي مصر والمغرب الأقصى، فمنذ عهد عبد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين، تتردد جيوش الخلافة الفتية من قواعدها في تونس نحو مصر والمغرب، غازية وكان اجتياحها السريع للمغرب يثير مخاوف حكومة قرطبة، لذا فقد كانت عدوة[3] المغرب تعتبر في الغالب قاعدة لغزو الأندلس وخط دفاعها الأول[4].

عمل المعزّ على توحيد العالم الإسلامي وسعى إلى تنفيذ هذا الهدف، فقرر أن يجعل من جميع بلاد شمال إفريقية كتلة قوية لا يستطيع البيزنطيون النيل منها ولم يتحالف على الأمويين في الأندلس بل تركهم على الرغم من اختلافهم وإياه في المذهب الديني ليكونوا قوة أمام الأجنبي الذي يراهم العدو الحقيقي[5]، ولقد حصل صدام العسكري بحري بين مركب الخليفة الأمويّ، وبين مركب رسول صقلية[6] المتوجه إلى الخليفة المعزّ سنة 344هـ/955م، فقطع عليه أهل المركب الأندلسي وأخذوا ما فيه من الكتب المرسلة إلى المعزّ من صقلية، فرد الأخير على هذا الاعتداء بأن جهز حملة بقيادة الحسن بن علي صاحب صقلية ورحل به إلى

[1] العبادي عبد الحميد، المجمل في تاريخ الأندلس، جمع مادته ونسقها إبراهيم الشريف، راجعه مختار العبادي، دار القلم، القاهرة، ط2، 1964م، ص114-115.

[2] بيضون إبراهيم، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(92هـ-422هـ/711م-1031م)، دار النهضة للطباعة، بيروت 1980م، ص332.

[3] هي شاطئ أو سند الوادي وقيل هي المكان المرتفع شيئا على ما هو اقل منه، ويقصد بالعدوة مدينة فاس. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 2003م، ص36.

[4] الشرقي منيرة بنت عبد الرحمن، علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين(العاشر والحادي عشر الميلاديين)، دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض 2002م، ص46-47.

[5] الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشّيعية، بيروت، ط2، 1978م، ج4، ص62-63.

[6] صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، كانت قبل الإسلام قليلة العمارة، فلما فتحها المسلمون في عهد دولة الاغلبية على يد القاضي اسد بن الفرات سنة 212هـ/827م عمّروها واحسنوا عمارتها، ثمّ استرجعها النصارى وطردوا المسلمون منها نهائيا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص416.

الأندلس فوصلوا إلى المرية[1] فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع المراكب الموجودة فيه ولما سمع عبد الرحمن الناصر سير أسطولا وهاجم سواحل إفريقية وحقق بعض الانتصارات إلاّ أنّه تراجع أمام الأسطول الفاطمي بعد أن تكبد الجانبين عدد من القتلى[2].

وصل النزاع السياسي بين الفاطميين في المغرب والأمويين في الأندلس أوجه، حيث سعى عبد الرحمن الناصر إلى تقوية أواصر الصداقة والتحالف مع البيزنطيين سنة 344هـ/955م، فقام بالتحالف مع الإمبراطور قسطنطين السابع(300هـ-348هـ/913م-959م)الذي سعى إلى تحقيق أطماعه في صقلية واستردادها من أيدي الفاطميين[3]، في حين لم نجد في كتب التاريخ ما يشير إلى أن الفاطميين قاموا بالتحالف مع أي جهة أجنبية.

من أجل مواجهة أموي الأندلس بل تركهم بالرغم من الاختلاف المذهبي ليكونوا قوة أمام الأوربيون الذين يراهم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين[4] وأمر عبد الرحمن بلعن الخليفة الفاطمي على كافة منابر الأندلس وكتب كتابا يأمر عماله بذلك[5]، واستولى الصراع بين الأمويين والفاطميين وتجاوزوا به جميع الحدود المنطقية واستخدموا الأساليب الدّعائية، فقد ألح المعزّ بشرعية حكمه وأحقية أسرته بالإمامة وصحة نسبه إلى الرسول ρ ونظر إليه الأمويين نظرة المغتصب للسلطة ويتوجب حربه وعزله كما قام المعزّ بالطعن في نسب الأسرة الأموية في الأندلس، فقد ذكر يوما عنده من بالأندلس من بين بني الأمية أللعناء وقيل له – للمعزّ– ما يقال فيهم أن أباهم الواصل أولا داعي، وليس له من ينسب إليه. كما حاول عبد الرحمن الناصر عقد هدنة مع الخليفة المعزّ لكن هذا الأخير رفض بإصرار وشدة وأوضح أنّه سوف

[1] مدينة محدثة أمر ببنائها الناصر لدّين الله عبد الرحمن بن محمّد سنة 344هـ/955م . أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص183.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص336؛ نفسه، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص164-165؛ Farhat Dachraoui , op cit, p225

[3] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص166؛ جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976م، ص221.

[4] الأمين، المرجع السابق، ص63.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص330.

يلجأ إلى استخدام السلاح لغزو الأندلس، واستمرت الحرب الإعلامية فاتهم الأمويين خلفاء الفاطميين بالكفر والخروج عن الإسلام [1]، وذكر لنا القاضي النعمان نص رسالة التي ردها المعزّ لعبد الرحمن الناصر بقوله:" وأما ما دعي إليه من السلم والكف والموادعة والصلح وهو يزعم إنّه أمير المؤمنين – كما يتسمى دون من سلف من آبائه– وأمام الأمة بدعواه وانتحاله، ونحن نقول ا ناهل ذلك دونه ودون من سواه، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه، مع ما بين أسلافنا وأسلافهم ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الأصيلة والبغض في الإسلام والجاهلية...ما أنا بالمداهن في دين الله ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله ولا بالمخادعين في أمر من أمور الله ! أرجى بجواب هذا إليه فما له عندي سواه ومالي من الأمر شيء إن الأمر كله لله((❒◆👌♦🙰 🕮⬈⬄🙸☒★ ♊♑👌 ♑❍⑩♑▫ ⬃☹⬈🡻⬂▦■🖬♦✌⬃⌘🙰✁ ⬉☠⬈▤♑🙮◎🕒⬩❶ 🗐 ★✎🙰✁ ❼■🖫♐☽ ▦🕛🡸❍🡸☺⬁▤🡸⬩⬩▫ 🡺💣▫🖬·🖹◆❑⬩✍ ♑❍⬂⓿■🖬♦⬉ ❼♐■🗁◆❻ ✦✎🙰✁ ❒◆☽♐🙮⬩⓿⬂❍♑ 🕮🡹☼♑⑩🖬⮊))[2]"[3]، ويتبين من رد المعزّ رفض السياسة الفاطميّة وجود أكثر من خلافة في العالم الإسلامي. يتضح من خلال المراسلات التي دارت بين المعزّ لدّين الله وعبد الرحمن الناصر، أن السياسة الفاطميّة في عهد المعزّ واضحة جدا هي لا سلام مع الأعداء، وأثارت فتوحات جوهر الصقلي سنة 347هـ/958م في المغرب الأقصى وصوله إلى سواحل المحيط الأطلسي استياء الخلافة الأموية في الأندلس[4]، ولكنها لم تبادر بنشاط عسكري مضاد لها وقد يرجع السبب إلى عدم اتّخذها إجراءات تحسبيه.

2. علاقة المعز مع جزيرتي صقلية وكريت:

قامت الدولة الفاطميّة على أرض بلد متوسطي مرموق، وشدّت سواحل البحر المتوسط مؤسس هذه الخلافة عليها، فأسس مدينة المهديّة واتّخذها عاصمة للدولة. وكانت لكل دولة متوسطية في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد مصالح وعلاقات مع القوى المطلة على

(1) صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص261.

(2) قرآن كريم، سورة الشورى، الآية 10.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص168–169.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص354.

البحر المتوسط من مسلمين وسواهم.

أ) جزيرة صقلية في عهد المعزّ لدّين الله الفاطمي:

ورثت الدولة الفاطميّة جزيرة صقلية، بعد قضائها على دولة الأغالبة دون صعوبات تذكر، ومثلما تقلبت الأوضاع في المغرب مع الفاطميين حدث نفس الشيء إلى حدها في صقلية. أسند المنصور ولاية صقلية إلى الحسن بن علي الكلبي، وكان من شيوخ كتامة استغل هذا الأخير منصبه، فأرسل قواعد الأمن والنظام بالجزيرة وقضي على المعارضة الداخلية[1]، وفي عهد المعزّ وقع تمرّد واضطرابات في مدينتي رمطة وطبرمين[2] بتحريض من الروم الذين اعتبروا أنهم ورثة الإمبراطورية الرومانية، فأعطى المعزّ تعليمات إلى والي صقلية بشن حرب على المدينتين، فحاصرتهما جيوشه وشددت الحصار، وكان النصر حليفها سنة 351هـ/963م، ووجه سبيها إلى المعزّ وعدده ألف وخمس مئة وسبعون شخصا، وأطلق عليه اسم المعزّية[3]. بعد مدة قصيرة استنجد أهل رمطة بالروم مجددا فحصدت جيوش المعزّ شوكتهم، ولما ازداد الموقف تأزما وخطورة أبرم هدنة مع بيزنطة سنة 356هـ[4] بعدم غزو الجزيرة مجددا[5]، مقابل إعادة مدينتي رمطة وطبرمين بعد إخلائهما حتى يسكنها المسيحيون من نصارى الجزيرة، أصدر المعزّ أمر إلى والي صقلية بإخلاء المدينتين وتسليمهما للروم سنة 358هـ/969م دون سابق إنذار، فخلفت هذه السياسة أثر سيء في نفوس المسلمين حيث عبروا عن مدى غضبهم وسخطهم بإحراق المدينتين وتسليمهما، وأمر إثر ذلك والي صقلية

---

[1] صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص245-246.

[2] وصفت مدينة رمطة بانها من القلاع الحصينة بجزيرة صقلية وكذا طبرمين من أهم القلاع الروم. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص68؛ نفسه، ج4، ص17.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص35؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، تح: نجيب مصطفى فواز وحكمة كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م ، ص438؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص98.

[4] كان المعزّ مضطر لعقد هذه الهدنة لانه اراد ان يسد زحف الجبهة البيزنطية ويتوجه للاستعداد لفتح مصر، واثبتت مجريات الأحداث ان النصارى استطاعوا السيطرة على شرق الجزيرة واصبحت تلك الاراضي بؤر لنشاطهم ضد الوجود الإسلامي في الجزيرة. أنظر: أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، مكتبة الاستقامة، تونس، المطبعة العربية، الجزائر، دت، ص151.

[5] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص46.

القدوم إلى المنصوريّة وعين مكانه يعيش مولى الحسن بن علي بن الحسن الكلبي[1]، وبذلك هادن الروم على حساب المسلمين ولم يعط قيمة لوالي صقلية باعتباره المسؤول المباشر على ولايته ولا للرأي العام بصقلية أيضا، وقصد من ذلك التفرغ لفتح مصر سنة 359هـ/978م ظهرت فتنة واضطرابات داخلية بصقلية بين الموالين الكتاميين والمعادين لهم، وتمكنت العداوة بين الطرفين، وانتشرت خطرها وعجز والي صقلية يعيش عن معالجة الوضع لإخماد الثورة، فعمت الفوضى والسلب والنهب فسارع المعزّ لإخمادها حيث عزل يعيش وعين مكانه والي جديدا أبو القاسم علي بن الحسن الكلبي على إمارة الجزيرة في نفس السنة نيابة عن أخيه أحمد بن الحسن، وعندما استطاع إعادة الامور إلى طبيعتها وقضى على الإضطربات وظفر بتأييد أهلها لم يتردد المعزّ أن يبعث له سنة 360هـ/970م سجلا بتقليده إمارة صقيلية بالأصالة بعد أن كانت بالإنابة، وبانتقال الخليفة الفاطمية من المغرب إلى مصر سنة 362هـ/973م لم تعد صقلية تتبع ولاية المغرب بل تركها الخليفة المعزّ في يد علي بن الحسن الكلبي الذي يتبعه في مصر، وبذلك حضيت الأسرة الكلبية بجزيرة صقلية بنوع من الإستقلال الذاتي[2].

ب) الخليفة المعزّ وقضية جزيرة كريت (إقريطش):

كانت جزيرة كريت"إقريطش" في قبضة العباسيين، ولقربها من مصر كان يشرف عليها والي هذه البلاد واستوطنها منذ أوائل القرن الثالث إلى منتصف القرن الرابع الهجري جماعة من مهاجرين الأندلس يعرفون بأهل الربض[3]، استغل الروم ضعف الدولة العباسية لإظهار طمعهم في جزيرة إقريطش وهاجموها بحملة كبيرة سنة351هـ/961م [4] لاستيلاء عليها بعد مقاومة

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص211.

[2] ابن خلدون، العير، المصدر السابق، ج4، ص103؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص45.

[3] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص363.

[4] محمّد الصالح مرمول، المرجع السابق، ص85.

سكانها، الذين طلبوا النجدة من خلفاء بغداد ومن ولاة مصر– كافور الإخشيدي[1]– فلم يسعفهم هؤلاء ولا أولائك، بعدها اتجهت أنظارهم نحو المنصوريّة فطلبوا الاستغاثة من المعزّ الذي استغل الموقف بكل حنكة ومهارة سياسية، وعالج المعزّ المسألة ببراعة واستهدف استغلال المناسبة دعائيا لصالح مطامعه في مصر والمشرق، لكن دون إجراء فعال حيث بعث برسالة تهديد إلى بيزنطة، وتقرير إلى كافور الإخشيدي وعرض عليه حلفا استهدف مصر وليس إنقاذ جزيرة كريت، فرفض كافور وضاعت الجزيرة[2]، والمصادر التاريخية لم تقدم لنا معلومات كافية حول الجهود التي بذلها المعزّ لإنقاذ الجزيرة عسكريا، بل ذكرت تفاصيل الحركات الدعائية الدبلوماسية، حيث ذكر القاضي النعمان: "كان طاغية الروم قد رغب إلى المعزّ لدّين الله في الموادعة، ...وكانت رغبته إليه في الموادعة مدة طويلة وأبدية...فرأى الإمام أن اجابة موادعة خمس سنين...وقبل ان تنقضي مدة الموادعة، أرسل الدمستق...في عدّة من السفن الكثيرة والجيوش الثقيلة حتى اناخ بها على جزيرة إقريطش...فرأى ان ينبذ إلى المشرك عهده كما أمر الله تعالى في كتابه (❒◆❒✆ᘏ👌□👓 👌❒③⬧👓▫⬧⮫▪ 👌ᘏ♊ 🔔⬧❑⬀✈👌 ⌘⮨⑩◆👓☼◆■☪ ▫⬧👓👓☼📪⌨ᘏ⓿⬁ ✆ᘏ🕿⬧⓿⬂♑ᘏ🏳⬄ ⬉◆✍■❼🗐 ♋⍓❑◆✂✏⬈⚙ 🗐 ✆ᘏ♌□ ✂👓✏⅄ ◆● ⑥⬈◆ᘏ🖫❹ ✂👓💻⬂③⬧👓✏★ᘏ✡ᘏ✓✖◆ ⮱ᘏᘏ⮰)[3]، لن هو اصر على حربهم وأمر بكتاب في ذلك إليه..."[4]، وبعث المعزّ رسالة إلى إمبراطور الروم يهدده بنقض الهدنة التي بينهما، ويحتج عليه لهجومه على المسلمين في جزيرة إقريطش، ويبين له أن العالم الإسلامي ملك للفاطميين لا للعباسيين[5].

---

[1] كافور الاخشيدي: هو كافور بن عبد الله الاخشيدي، كنيته ابو المسك الخصي، وهو حبشي اسود كان عبدا، فاشتراه ابو بكر محمد بن طغذج الاخشيد سنة 312هـ/924م، وترقى إلى ان جعله اتابك لابنيه، ثمّ استقل بحكم مصر والشام، وكانت مدة حكمه سنتين واربعة اشهر، توفي سنة 357هـ/967م بالقاهرة.انظر:ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص99–105؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تح: لجنة من كبار العلماء والأدباء، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1956م، ج1، ص258.

[2] صالح عمار الحاج الصالح، المرجع السابق، ص283؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص363.

[3] سورة الانفال الاية 58.

(4) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص443-444.

(5) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص366.

ورد في المجالس نص الرسالة:" فإقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا، بما خولنا الله منها، وأقامنا له فيها أطاعنا منها من أطاعنا، وعصانا من عصا، وليس بطاعتكم يجب أن نملك، ولا بعصيانكم ، يحق علينا أن نترك"، وختم رسالته بقوله:" وعهدك أن تماديت على حربي من أتاب إلينا منبوذ إليك، فانظر لنفسك ولأهل ملتك، فإما منا جزوّك، وإياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده"[1].وهنا يتضح لنا أن المعزّ لم يقر للعباسيين بملكية الجزيرة، وأظهر قوته للعالم الإسلامي وللروم أنفسهم. من جهة أخرى عمل الاستعانة بالسفن المصرية كتب إلى كافور الإخشيدي ليعرض عليه التعاون لنجدة أهل إقريطش، وطلب منه أن يرسل أسطولهم إلى برقة ويجتمع بأسطوله ويتعاونا لطرد العدو المشترك لكن كافور رفض[2]، وروى القاضي النعمان نص الرسالة:" فلك عهد الله وميثاقه، أن لا نكون معهم إلاّ بسبيل خير، وأن نحلهم محل رجالنا، ونجعل أيديهم مع أيدينا، ونشركهم فيما أفاء الله علينا، ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا، ومراكبك مقام أساطيلنا، حتى يفتح الله لنا إن شاء الله، ثمّ ينصرف إليك"[3].

وبذلك ضاعت الجزيرة في أيدي الروم فالمعزّ لم يرد المغامرة بأسطوله بعيدا عن شواطئ المغرب لأنه كان يحضر لحملة مصر والتاريخ لا يحمله وحده وزر ضياع هذه الجزيرة إنّما يحملها أيضا للخلافة الأموية في الأندلس والدولة الإخشيدية[4] في مصر، أمّا الدولة العباسية كانت تحت سلطة البويهيين[5].

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص444.

(2) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص367.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص445.

(4) الاخشيديون:(323هـ-358هـ/934م-968م)، اصلهم تركي، مؤسس هذه الاسرة الحاكمة في مصر هو محمد بن طغج الذي برز أثناء غزو العبيديين، ثمّ منح لقب الاخشيد بطلب منه ليدعي له على المنابر بعد ان نجح في صد الفاطميين وعقد الهدنة معهم، في سنة 349هـ/960م، تولى الحكم ابو الحسن الذي حكم ست سنوات، وكان المتصرف في شؤون الدولة،

كافور تولاها مستقلا سنتين واربعة اشهر، وبوفاته انقطع أمر هذه الدولة في مصر سنة 357هـ/967م. انظر: شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص345.

(5) صالح عمار الحاج الصالح، المرجع السابق، ص246.

ثانيا: سياسة المعزّ مع الدولة العباسية:

لقد نشأت عدد من الدويلات العلوية في المشرق والمغرب بيد أنها لم تستطع أن تضاهي الخلافة العباسية حتى قامت الخلافة الفاطميّة في المغرب ومدت نفوذها السياسي باتجاه مصر لتكون مقرا وقاعدة لدولتهم ومن ثمّ وسعت نفوذها باتجاه الشام والحجاز وعملت على نشر دعوتها في العراق وعموم المشرق الإسلامي[1]، ومنذ ذلك العهد لعبت مصر دورا فائق الاهمية في تاريخ الإسلام، فقد بات الخليفة الفاطمي ينظر للخليفة العباسي باعتباره مغتصب للخلافة واتجهت رغبته في العمل على توحيد العرب والمسلمين[2]، وقام دعاة الفاطميين في بغداد بعد أن قامت الخلافة الفاطميّة في المغرب واستقرارها فيه، بنشاط كبير في نشر الدّعوة لهم حتى أنّ كبار رجال الدولة العباسية قد مالوا اليهم أمثال بن أبي الساج[3]، فكان ظهور الفاطميين كمزاحمين للعباسيين في الملك والسياسة فضلا عن منافستهم في العلم والحضارة[4]، وفي سنة 334هـ/945م أصبحت الدولة العباسية والملك بيد بني بويه والذي بقي بأيدي خلفاء بني العباس إنّما(هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي)، نظرا لتفشي الدّعوة الفاطميّة وكسب ولاء عدد من الشخصيات فضلا عن سيطرة بني بويه رأى بني العباس ان التشكيك في نسب الفاطميين لم يجد نفعا ففكروا في الانضمام إلى جانب الفاطميين.

وحينها استقل القرامطة وهي الفرقة الإسماعيليّة وبنو بويه الزيديون[5]

(1) ماجد، الحاكم بأمر الله" الخليفة المفترى عليه "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص18.

(2) جوليان شارل اندريه، تاريخ إفريقيا، تر: طلعت عوضي إباضة، مر: عبد المنعم ماجد، دار النهضة، القاهرة 1968م، ص72.

(3) هو أبو القاسم يوسف بن أبي الساج ويسمى الشيخ الكريم تقلد اعمال ارمينيا واذربيجان في عهد الخليفة المقتدر العباسي، استولى على الري سنة 311هـ/923م قتل على يد القرامطة بالكوفة سنة 315هـ/927م. أنظر: مؤلف مجهول، 50)العلوم والحدائق في اخبار الحقائق، عنيا بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: عمر السعيدي، المطبعة الكاثوليكية، دمشق 1972م ، ج4، ص 137 وما بعدها.

(4) خطاب محمود شيت، المغرب العربي، دار الفكر، ط1، 1966م، ص224.

(5) هم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب τ ساقوا الإمامة في اولاد فاطمة الزهراء، ولم يجوزو ثبوت الإمامة في غيرهم، لكنهم اجازو ان يكون كلّ فاطمي عالما ، زاهدا شجاعا سخيا خرج بالامامة يكون اماما يجب طاعته سواء اكان من اولاد الحسن أو من اولاد الحسين . أنظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص137؛ الزين محمّد خليل، تاريخ الفرق الإسلامية، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ/1985م ، ص165.

في أصفهان[1] وبنو حمدان في الموصل[2] وحلب ولم يبق للعباسيين سوى بغداد وما يحيطها[3]، حيث لم يكن للخليفة العباسي إلاّ أن يوافق على هذا الاستقلال دون قيد أو شرط بسبب ضعف الخلافة العباسية في حينها أراد معز الدولة [4] اقامة الخطبة في بغداد للخليفة الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي، فرد عليه أحد الحضور الذي عمل كالجدار ضد أكبر خطر تعرض له العباسيون في مواجهتهم سياسة الفاطميين بقوله:" ليس هذا برأي فانك اليوم مع الخليفة تعتقد أنت وأصحابك إنّه ليس من أهل الخلافة ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه فاعرض عن ذلك"[5]، وانتصح بهذا الرأي بنو بويه وعدلوا عن مسألة نقل الخلافة من العباسيين إلى الفاطميين فذهبت من العلويين فرصة عودة الخلافة لهم التي طالما نادوا بها[6]، ولقد رسم الفاطميون سياستهم على أساس التوسع والسيطرة على بغداد فقد صرّح المعزّ لدّين الله بذلك، فكانت طموحات وتطلعات المعزّ في الاستحواذ على بغداد من خلال قوله إلى رسول البزنطيين الذي كان يتردد عليه وهو بإفريقية: "اتذكر إذ اتيتني وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي بمصر وأنا ملك عليها قال نعم فقال له وأنا أقول لك الان لتدخلن علي ببغداد وأنا خليفة"[7]، وان العلاقات التي تربط سياسة الفاطميين الخارجية ببني بويه في بغداد

(1) سميت نسبتا لاسبهان ابن نوح υ والتي تعني بلد الفرسان، وتكتب لدى البعض باصفهان. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص43.

(2) هي مدينة مشهورة عظيمة وهي احدى قواعد بلاد الإسلام قل نظيرها كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان، وسميت الموصل لانها وصلت لانها وصلت بين العراق والجزيرة.أنظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه: محمّد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م ، ص146.

(3) الرافعي مصطفى، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1960 م، ص214؛ جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، المرجع السابق، ص166.

(4) هو أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه صاحب العراق وكان يقالو له الاقطع، ولد 303هـ/915م توفي في بغداد سنة 356هـ/966م. أنظر: ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص185-187.

(5)ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص115؛ ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج11، ص212-213.

(6)حسن علي إبراهيم، تاريخ الإسلامي العام، مكتبة الانجلوا المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة 1959م، ص442.

(7)ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص66؛ ابن أبي الضياف، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، المطبعة الرسمية ، تونس، 1963م، ج1، ص129؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص54 الهامش5.

كانت واقعة تحت طائلة التجاذبات السياسية بين الطرفين وتسير أحيانا نحو التدهور والخلاف.

1.حملة جعفر بن فلاح على بلاد الشام(358هـ-360هـ):

بعد تمكن الفاطميين من إحكام سيطرتهم على مصر بشكل يكاد سلميا، أصبحت القاهرة مركزا للدعوة الإسماعيليّة، فكان لا يخفى عن الفاطميين الأخطار المحدقة عليهم من الشام من قبل القرامطة والبيزنطيين[1]، لذا توجهت سياسة الفاطميين نحو الشام بالتدخل العسكري المباشر لغرض إخضاع المنطقة ومد نفوذ سلطتهم فيها، فقد جهز جوهر الصقلي أحد قواده البارزين من أجل إنجاح هذه المهمة وهو قائد جعفر بن فلاح، بقوات عسكرية سنة 358هـ/968م [2]، وسار جعفر إلى الرملة[3] مطاردا فلول الإخشيدين في الشام واشتبك مع صاحب الرملة أبي محمّد الحسن بن عبد الله بن طغج الإخشيدي في ذي الحجة من ذات السنة، وبعد معارك بين الطرفين استطاع جعفر من أسر ابن طغج الإخشيدي وغيره من القادة وأرسلوا إلى جوهر الذي أرسلهم بدوره إلى المعزّ في المنصورة واستولى جعفر على أموال المدينة[4]، وبذلك حقق الفاطميون أول نجاح عسكري لهم في المنطقة والذي يعد مهما جدا كونهم قضوا على أكثر ولاة الإخشيدين قوة [5]، وعندما علم القرامطة بسيطرة الجيش الفاطمي على الشام وأخذهم ابن طغج أسيرا استاءوا كثيرا لأنّ الإخشيدين كانوا يبعثون لهم مالا قد سبق الاتفاق عليه بينهما سنة 357هـ/967م مقداره ثلاثمائة ألف دينار سنويا، فضلا عن أن الإخشيدين كانوا على وفاق مع

(1)جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة 1959م، ص16.

(2)أبوا الفدا، المختصر في اخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمّد ديوب منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، ط1، 1979، ص448.

(3)مدينة عظيمة تقع في جنوب فلسطين بينها وبين بيت المقدس إثنتا عشر ميلا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص421؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، المصدر السابق، ج2، ص233؛ أنظر:

E.Honigmann, Art : Alramla, EI, Paris, 1936, t3, p1193.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص31-32؛ ابن الأبار، الحلة السراء، المصدر السابق، ج1، ص304.

(5) علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى "من الفتح العربي إلى الفتح العثماني"، مكتبة النهضة، القاهرة، 1947، ص214.

القرامطة وبذلك يكونوا قد خسروا قوة يمكن الاعتماد عليها[1]، وتعرضت مدينة الرملة على إثر دخول الجيش الفاطمي لأعمال نهب وسلب من قبل الجند الفاطمي، فأمر القائد جعفر جنده بالكف عن هذه الأعمال بعد ان قدم أبي بكر النابلسي[2] التماسا له وطلب منه وقف أعمال السلب والنهب فاستجاب إلى طلبه[3]، بعدها تحرك جعفر إلى طبرية[4] بعد أن استخلف ولده على مدينة الرملة التي دخلها دون مقاومة تذكر وأقام فيها الخطبة للخليفة المعزّ[5]، ثمّ واصل سيره إلى دمشق وتمكن من التصدي لأهلها وفتحها سنة 359هـ/969م وأقام الخطبة وقطعها عن العباسيين[6]، وقد عبث الجيش الفاطمي في المدينة واستولى أموال الناس لرفضهم طاعة المعزّ، ولقد كان فتح دمشق أكثر صعوبة من الرملة، والسبب أن أهل دمشق صمموا على التصدي للنهج السياسي الفاطمي فحدثت فتنة بين أهل دمشق وجعفر بن فلاح ووقعت مناوشات كثيرة بين الطرفين لكن الفاطميين نجحوا في ردهم على أعقابهم[7].

بعد سنة توصل معهم إلى اتفاق ينص على إقامة جعفر في مسجد دمشق وقطع خطبة المطيع العباسي وإقامة الخطبة للمعز الفاطمي، كان ذلك سنة 360هـ/970م[8].

نزل جيش جعفر بظاهر سور دمشق، فبنو مساكنهم فيها وانشئوا أسواقا وأصبحت ما يشبه المدينة في تخطيطها، وبني جعفر لنفسه قصرا فأثار الإعجاب حيث اتّسم بناؤه بطراز وتصميم

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص42.علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص216

(2) هو أبو بكر محمّد ابن أحمد بن سهل الرملي النابلسي وهو احد علماء الرملة وكان أفتى بأهمية قتال الفاطميين على قتال الروم بقوله:"لو كان معي عشرة أسهم لا رميت الروم سهما ورميت بني عبد تسعة"، قتل وسلخ من قبل الفاطميين سنة 363هـ/973م. أنظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بيكر محمود، مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه، بيروت 1967م، مج2، ج3، ص303؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7،ص54.

(3) ابن ألقلانسي، تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص1.

(4) مدينة من بلاد الأردن بالشام، بينها وبين عكة يومان، بني هذه المدينة طيبا ريوس احد ملوك الروم. أنظر:الحميري، المصدر السابق، ص385.

(5)ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص32.

(6)المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص173–174.

(7)أبو الفدا، المصدر السابق، ص449.

(8)المقريزي،اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص176.حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص96.

لم يعتاد أهل دمشق عليه[1]، فأقدم جعفر على تصفية الزعماء المتمردين عليه فأرسل بعض جنوده للقبض عليهم وضرب أعناقهم، في حين استطاع أبوا القاسم بن أبو يعلى الفرار قاصدا بغداد فقبض عليه عند تدمر[2]، وأرسل إلى جعفر الذي شهر به[3]، حيث أراد الفاطميون في الشام تكريس نهجهم السياسي ومذهبهم الإسماعيلي، إذ أمر الخليفة الفاطمي المعزّ لدّين الله قائده جعفر سنة 360هـ/970م بأن يعلن المؤذنون في دمشق بـ (حيا على خير العمل) ولم يستطع أحدا معارضة جعفر على هذا العمل، وبعده أقيمت الخطبة للمعز في مدينة حلب[4] في نفس السنة[5]، وعلى الرغم من الانتصارات التي تحققت على يد جعفر بن فلاح فإنّ سياسة العنف والشدة التي اتبعها في دمشق، وسوء سيرة جنوده فيها أثارت حنق الرعية عليه، فدبر أهل دمشق مؤامرات للحيلولة دون استقرار سياسي الفاطميين في الشام، فكان سوء السياسة الفاطميّة في الشام عائق حيوي في عدم انتعاش علاقة الوئام بينهم [6].

وهذا يعني أنّ سياسة الفاطميين قد فشلت في الشام بكسب ود أهالي الشام عامة ودمشق بصورة خاصة، كان السبب هو الأسلوب الخاطئ الذي اتبعه جعفر بمحاولة فرض السياسة الفاطميّة والمذهب الإسماعيلي بالقوة، وهو نقيض لما عرف عن الفاطميين بنشرهم سياستهم ومذهبهم بالمرونة.

2 النزاع بين المعزّ والحسن الأعصم القرمطي:

كان القرامطة هم من يوجه السياسة الفاطميّة باتجاههم إذ أعلن الحسن ابن أحمد المعروف بالأعصم عن تسلمه زعامة القرامطة سنة 359هـ/969م للمطالبة بدفع الأموال

(1)المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص177.

(2)من مدن الشام تقع بالبرية. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص131.

(3)المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص177.

[4]مدينة بالشام، سميّت بحلب نسبا لرجل من العمالقة، وهي مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص196.

[5]أبو الفدا، المصدر السابق، ص451؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص58.

[6]جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، المرجع السابق، ص120؛ المعاضدي خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي(567-359هـ/969-1171م)، دار الحرية، بغداد، ط1، 1976م، ص26.

المقررة على الإخشيدين من جعفر بن فلاح التي انقطعت سنة 357هـ/967م[1]، ومع رفض جعفر هذا الطلب قام الأعصم القرمطي باعلان عدائه السافر على الفاطميين، فشهدت تلك المرحلة تحولا استراتيجيا في العلاقات الفاطميّة القرمطية، لذا توجه الأعصم القرمطي مؤتمرا بأمر المطيع بالله العباسي بجيش كثيف رافعا الرايات العباسية فهزم القائد الفاطمي جعفر بن فلاح وقتله قرب دمشق سنة 360هـ/970م[2]، وبهذا انتهج الحسن الأعصم سياسة مغايرة لأسلافه اتجاه الفاطميين[3].

إنّ مطالبة الفاطميين بدفع المال المقرر على الإخشيدين ما هي إلاّ ذريعة تمسك بها القرامطة وفي الوقت نفسه تعد تأكيد على التمرد من قبل الحسن الأعصم على أسياده السابقين(الفاطميين) والذي كما يبدو كانت أتباعه تشكل الجزء الأكبر من القرامطة والمهيمنين على الميدان العسكري، واتبع سياسة مبنية على المصالح غير مهتم بما جمعه مع الفاطميين في وحدة المذهب، فتحالف مع أسياده الجدد العباسيين وطالب الفاطميين بمال لم يفرض عليهم وغير واجب الدفع، ذلك أنهم ليسوا ملزمين بدفع هذا المال، سعى الحسن الأعصم لتهيئة الظروف المناسبة لمواجهة الفاطميين، فطلب من المطيع العباسي وكذلك أمير بني بويه عز الدّين بختيار[4] المهيمن على الخلافة العباسية في بغداد، أن يمداه بالمال والسلاح فلم يستجب له الخليفة العباسي فقال:" كلهم قرامطة وعلى دين واحد فأما المصريون(الفاطميون) فأماتوا السنن وقتلوا العلماء، وإما هؤلاء القرامطة فقتلوا الحجاج وقلعوا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا"[5]

[1]ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص50.

[2]حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص153.

(3) جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، المرجع السابق، ص123.

(4) السلطان ابوا منصور بوختيار عز الدّين بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي، ولي ملك العراق بعد ابيه وكان شجاعا قويا، توفي سنة 367هـ/977م.أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص129.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص68.ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص74.

ففي نظره الطرفين المتصارعين هم أعداء له وللخلافة العباسية. أمّا البويهيون لم يتوانوا في تقديم المساعدة للأعصم وقال عز الدولة باختيار للحسن : "اذهب وافعل ما بدا لك"[1].

سار الحسن الأعصم قاصدا الشام سنة 360هـ/970م فاستولى عليها ولعن المعزّ الفاطمي وأباه على منبر دمشق وأخذ يردد دعوة العباسيين ببطلان نسب الفاطميين وأقام الدّعوة للخليفة العباسي المطيع لله[2]، وذلك بعد قتل القائد جعفر بن فلاح الكتامي سنة 360هـ/970م واستولى على دمشق وصار إلى الرملة واستولى عليها ثمّ اتّجه صوب مدينة يافا[3].

تأهب القائد جوهر الصقلي نائب المعزّ لدين الله في مصر لمواجهة تطورات الموقف مع القرامطة وقام بحفر خندق وبنى قنطرة على الخليج، فاندلع القتال بين القرامطة والفاطميين أسفرت عن هزيمة نكراء للحسن الأعصم وغنم جوهر ما بحوزة جيشه ونادى بالناس:" من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاث مئة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجا تحلا على دوابها[4]، وإن خسارة الأعصم للمعركة جعلته يخسر مدينة يافا ودمشق ما تطلب منه اعادة تنظيم قواته في بلاد الشام لمواجهة الفاطميين والقضاء عليهم. فابتدأ بلهجة التأنيب والتقريع للقرامطة وزعيمهم الحسن الأعصم قبل التفكير بقيام عمل عسكري مباشر[5]، وعمد إلى تذكيره بإخلاص اسلافه للفاطميين[6]، فكتب المعزّ للحسن الأعصم قائلاله:"فأما أنت الغادر الخائن، الناكث البائن، عن هدى آبائه وأجداده، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده، الموقد لنار الفتنة الخارج عن الجماعة والسنّة فلما اغفل امرك ولا خفي عني خبرك..."[7].

(1) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص74.

(2) المقريزي، إتعاظ الحنفاء ، المصدر السابق، ص250.

(3) مدينة على البحر المتوسط من اعمال فلسطين بين قيسارية وعكا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص493.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص182.

(5) جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، المرجع السابق، ص30-31.

(6) الخربوطلي، المرجع السابق، ص188.

(7) المقريزي، اتعاظ الخنفا، المصدر السابق، ص258.

سنة 362هـ/972م سعى المعزّ لتصفية حسابه مع خصومه ليتمكن من تثبيت أركان دولته، وبينّ عن مدى اتساعه نطاق الدّعوة الفاطميّة في كثير من أرجاء العالم الإسلامي لقوله:"ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلاّ ولنا فيه حجج ودعاة يدعونا إلينا، ويدلون علينا ويأخذون تبعتنا، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا، وينذرون باسنا، ويبشرون بايامنا... والأحسن لعذرك الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك، والقفوا بآثارهم وأنّ عميت لديك لتجري على سننهم وتدخل في زمرهم وتسلك في مذهبهم آخذا بأمورهم في وقتهم وزمرهم في عصرهم"[1].

كما أن المعزّ وبخه بجمع زمرته في دمشق وقتله قائده جعفر بن فلاح، بقوله:" ثمّ لم يكفيك ذلك – مع بلائك وطول شقائك- حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك وحشدت أوباشك وأقلاسك وسرت قاصدا إلى دمشق، وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلا من كتامة وزويلة، فقتلته وقتلتهم، – جرأة على الله ورد الآمر – واستبحت أموالهم وسبيت نسائهم وليس بينك وبينهم طرة ولا ثأر ولا حقد ولا أضرار...."[2].

واختتم المعزّ كتابه بعرضه على الحسن الأعصم بثلاث خصال عليه اختيار إحداها، وإلا فإنه معرض إلى عواقب وخيمة:"ونحن معرضون ثلاث خصال فاختر أمّا قدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله...أمّا قصاص، وأما منا بعد، وأما فدى فعسى أن يكون تمحيص لذنوبك...فما أنت إلاّ كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار، فلا سماء تظلك، ولا أرض تقلك ولا ليل يجنك ولا نهار يكنك..."[3].

نفهم من هذه الرسالة الطويلة للمعز أنّه كان يذكر الحسن الأعصم بالعلاقة الطيبة التي تربط أسلافه بالفاطميين وللفاطميين عليهم فضلا وفي نهاية المطاف لم يترك له فرصة الندم إذ وضعه في موقف حرج وهذا ما يؤكد رد الحسن الأعصم إذ قال:" جوابك وصل الذي قل

[1] المقريزي، إتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص260–261.
[2] نفسه، ص262–263.
[3] نفسه، ص264–265.

تحصيله وكثر تفصيله ونحن حاضرون على إثره والسلام"[1]، ويتضح من رده إنّه غير ابه بتهديد المعزّ ووعيده واستخف برسالته ورفضها جملة وتفصيلا وبذلك أعلن عدائه بل إنّه هدد المعزّ بحملة عسكرية مرتقبة، وفعلا توجهت جيوشه من الرملة نحو الأراضي المصرية في سنة 362هـ/972م فجرت المعركة بينه وبين قائد الجيش الفاطمي المعزّ وابنه ولي العهد عند مكان يدعى بالقوم الأحمر بمصر والحق بهم المعزّ هزيمة نكراء[2]، وبهذا استطاع الفاطميون أن يبسطوا نفوذهم وسياستهم على الشام، وقد أشار ابن حماد إلى هذا الخلاف الذي وقع بين الحسن الأعصم القرمطي والخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله إذ يقول: " فخرج المعزّ اليهم وكانت بينهم الوقعة المشهورة في القوم الأحمر فانهزم القرمطي...ورجع المعزّ إلى مصر وأقيمت الدّعوة في مصر وديارها والشام والحجاز مع إفريقية كلها والمغرب باسمه"[3].

3 إقامة الخطبة للخليفة المعزّ الفاطمي بالحجاز:

يعتبر الحجاز كما وصفه ابن خلدون[4]:"أصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية".

كانت مكة والمدينة تحت سيادة الدولية العباسية وكان المسرح السياسي خاليا من منافس لهم، فعندما أقام الفاطميون دولتهم في بلاد المغرب، أخذوا بالتطلع لمد نفوذهم السياسي وتوسيع رقعة بلادهم فبعد استيلاءهم على مصر والشام، طمحوا إلى مد نفوذهم نحو الحجاز لتقوية مركز حكمه الديني والدنيوي أمام الرأي العام الإسلامي، والعمل على الحط من شأن الخلافة العباسية التي تترنح جراء الضعف وهيمنة القوى الخارجية عليها، فاخذ العباسيون ينظرون إلى تعزيز نفوذهم بالحجاز، وذلك لما للحرمين من تأثير على ولاء رعاياهم من المسلمين، ونتيجتا

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص104.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ، ص54.

(3)ابن حماد، المصدر السابق، ص54؛ نشيدة سليماني، ابن حماد الصنهاجي واخبار ملوك بني عبيد دراسة نقدية وتحقيق جديد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الاسلامي، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، مارس 1979، ص126.

(4)ابن خلدون، المقدمة، د ط، دار الفكر، بيروت، 2002م، ص228.

لهذا الصراع بين الطرفين ظهر بمنطقة الحجاز مفهوم سياسي جديد تبلور لاحقا على الساحة السياسية للعالم الإسلامي الذي بين أن من يمتلك الحرمين بالحجاز يكون أمير المؤمنين الفعلي على المسلمين، "وتوارث الخلفاء بهذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز.."[1]، ويدعى له في مكة والمدينة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد تنافس بين الخليفتين الفاطميّة والعباسية، وسعيهما إلى أن تكون الخطبة لهما على حساب الطرف الأخر حتى يتمكنا من بسط نفوذهما على العالم الإسلامي، لكون الحجاز يحتضن قبلة جميع المسلمين فاحتدم النزاع بين الخليفتين، وكان الطرف الثالث الذي فاز بالغنيمة هم العلويين في الأراضي المقدسة، فقد كان الحسينيون يتمتعون بالمال والجاه فتمكنوا من السيطرة على مكة حوالي منتصف القرن الرابع الهجري الموافق العاشر ميلادي، دون أن يلاقوا أي معارضة من قبل الخليفتين المتنازعتين[2].

إنّ مد النفوذ السياسي إلى مكة وإقامة الخطبة فيها لكسب رضا المسلمين في أرجاء المعمورة وتأييدهم لمكانتها الدينية هو من أفكار الفاطميين لما عرفوا به من حذق دعاياتهم وأساليبهم المختلفة التي صاحبت دعوتهم في جميع مراحلها.

ترجع البداية التي ارتبطت بها الدولة الفاطميّة بعلاقات مع الحجاز إلى سنة 340هـ/959م، عندما وردت للخليفة المعزّ لدّين الله الفاطمي الأنباء، حين كان في المغرب عن أمر الخصومة الدائرة بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، وأنّ أكثر القتلى كان عند بني الحسن فأراد المعزّ كسب ود الطرفين المتنازعين فأنفذ إليهم سرا المال والرجال من أجل تقريب وجهات نظرهم وحل النزاع القائم حتى تم الصلح بين الفريقين في داخل المسجد الحرام وتحمل الفاطميون ديات بني الحسن[3]، فكان لذلك أثره البالغ في رفع مكانة الفاطميين في الحجاز[4]، وقد مهدت هذه الأحداث إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي وإسقاطها على

(1)نفسه، ص228.

(2) ادم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م، ج1، ص24.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص145.

(4) جمال الدّين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، المرجع السابق، ص15.

العباسيين، حيث كان المعزّ ينظر للحجاز باهتمام بالغ ويمطه بالدعاء له فيه بدلا من الخليفة العباسي، وسحب البساط من تحت أقدام الخلفاء العباسيين[1].

شهد العالم الإسلامي انقسام في الخطبة فكانت من بغداد إلى حلب إلى البصرة، كانت الخطبة تقام للخليفة العباسي ومن حلب إلى الحرمين للفاطميين فضلا عن إقامة الخطبة للخلافة الأموية في الأندلس، وفي سنة 358هـ/968م قام جعفر بن محمّد الحسني بإعلان ولائه للفاطميين وأقام الخطبة للمعز في مكة[2]، وبذلك حققت السياسة الخارجية للفاطميين نصرا سياسيا مهما دون أن تخوض أي صراع وباتت منطقة نفوذهم أكثر اتساع.

ولغرض ديمومة هذا الانتصار عزز المعزّ انتصاره السياسي بفتح بلاد الشام وقام بتامين الطريق البري الذي يربط القاهرة بالحجاز، وفي سنة 359هـ/969م قام بتثبيت أركان نفوذه على مكة والمدينة ذكر المقريزي إنّه كان يرسل الأموال لها (عسكرا وأحمال مال – عدتها عشرون حملا- للحرمين وعدّة أحمال متاع)[3]، فاستغل العباسيون تأييد القرامطة لهم فأعادوا الخطبة في مكة سنة 359هـ/969م للخليفة المطيع العباسي ولحليفه الحسن الأعصم القرمطي فخلدوا هذا النجاح وقدموا هدية للكعبة بغرض تكريس سياستهم فيها ببلاد الحجاز[4].

دافع الفاطميون عن سياستهم الخارجية وشجعوا حكام المدينة الحسينيين للاستيلاء على مكة بالقوة وتمكنوا من إعادة الخطبة للمعز، ولكن هذا النجاح لم يدم طويلا لان القرامطة انظموا إلى أهل مكة والحقوا الهزيمة بالحسينيين سنة 360هـ/970م، وأجبروهم على الرحيل إلى المدينة، وأمر الخليفة المعزّ الفاطمي سنة 362هـ/972م بعمل كسوة للكعبة وقد كانت هذه الكسوة على شكل مربع من ديباج أحمر وحجمها مئة وأربعة وأربعون شبرا، وكان في حافتها اثنتا عشر هلالا ذهبا في كلّ هلال أترجه[5] ذهبية، وفي كلّ منها خمسون درجة تشبه بيض

(1) احمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2005م، ص42.

(2) الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص194.

(3) المقريزي، إتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص172.

(4) الزيلعي، المرجع السابق، ص43-44.

(5) تمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب. أنظر: غربال محمّد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، فرانلكين للطباعة والنشر، القاهرة 1965م، ص49.

الحمام في حجمها كما كان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، وقد نقش في أطرافها الآيات القرآنية الكريمة التي وردت بشأن الحج: "[illegible]"(1).

والآية الأخرى: "[illegible]"(2)، وكتبت بحروف الزمر الأخضر، وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة، وقد كانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك، وقد عرفت بالكسوة الشمسية(3)، وكان يعرض هذه الكسوة في عيد الأضحى أمام الناس(4) تأكيدا على اهتمامه بمد نفوذه السياسي والروحي على الحجاز بشكل عام وعلى مكة بشكل خاص.

[1] سورة آل عمران، الآية 95.

[2] سورة التوبة، الآية 3.

[3] المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص214.

[4] ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة مصطفى محمّد، القاهرة 1938م، ج1، ص106.

ثالثا: فتح مصر وإنتقال المعزّ إليها:

منذ دخول الفاطميين إلى بلاد المغرب، كان تفكيرهم منصب في تأسيس دولتهم في بلاد المشرق، ولتحقيق هدفهم، واتجهت أنظارهم نحو غزو مصر، باعتبارها الطريق المؤدي إلى الشام، والحجاز والعراق[1]، فحاولوا فتحها عدّة مرات.

قام عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطميّة بالمغرب، بإرسال عدّة حملات لفتح مصر وانتزاعها من العباسيين، أولها في سنة 301هـ/913م، أرسل حملة بقيادة ابنه أبي القاسم الملقب بالقائم، وثانيها سنة 306هـ/918م، غير أن الحملتين فشلتا فشلا ذريعا، وفي سنة 307هـ/919م نجح في الاستيلاء على الإسكندرية، لكن العباسيين ظفروا بهم وهزموهم وأخيرا حملة 321هـ/923م بقيادة حبشي ابن أحمد المغربي، وانهزم الفاطميون في بلبيس والجيزة على يد محمّد ابن طغج الإخشيدي سنة 323هـ/924م، وفي نفس السنة توفي عبيد الله المهدي بالمهدية ليلة الثلاثاء ربيع الأول 322هـ/921م[2]، وأخفى ابنه أبو القاسم خبر وفاته ولم يعلن للناس إلاّ بعد سنة، وذلك بعد أن استقرت أموره في المغرب.

لم ييأس الفاطميين من فشل محاولات المهدي لفتح مصر، وإنّما تواصلت في عهد القائم، وأيضا في عهد المنصور، ولكنّها باءت بالفشل بسبب ثورة الخوارج في بلاد المغرب بقيادة أبي يزيد مخلد بن كداد الزناتي المعروف بصاحب الحمار، الذي كاد أن يقضي على الفاطميين، لذلك واجهوه بكل قوة حتى تمكنوا من القضاء عليه بوفاته[3]، وكانت نتائج هذه الثورة وخيمة على الدولة الفاطميّة، حيث أفقدتها خيرة رجالها وجعلت بيت مالها يخلو من البيضاء والصفراء، بالإضافة إلى أنّ الدولة العباسية كانت قوية فباستطاعتها الدفاع عن مصر[4].

(1) جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، المرجع السابق، ص86-87.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ص104-105.ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص208؛ الصنهاجي، أخبار ملوك، ص21-26؛ السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص607.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص590.

(4) علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، المرجع السابق، ص25.

1) العوامل التي ساعدت المعزّ على فتح مصر:

وظل الحال على ذلك إلى أن جاء المعزّ رابع الخلفاء الفاطميين، وتهيأت له العديد من الظروف لتجهيز حملة إلى مصر تمثلت في النقاط التالية:

ضعف الدولة العباسية، الذي ظهر بوضوح داخليا: خلال العصر العباسي الثالث(334هـ-447هـ/946م-1055م)، فالأمراء البويهيون[1] أسسوا حركات انفصالية وبسطوا عليها هيمنة فعلية خاصة بالعراق وفارس، فبذلك شاركوا الخلافة العباسية في الحكم، وأصبحت أمور الدولة كلها في أيديهم صب الخلفاء أو عزلهم وقتلهم طوع رغبتهم[2].

أمّا في الخارج تفاقم خطر البيزنطيين الذين هددوا العباسيين منذ منتصف القرن الرابع للهجري(351هـ/962م)، وفي عهد الإمبراطور نقفور فوقاس الذي عزم على مهاجمة بغداد نفسها، فالخلافة العباسية عجزت فتن عن فرض حمايتها على مصر بعد أن أصبحت أسيرة لنفوذ والبويهيين الشّيعة[3]، أمّا مصر كانت تمر بمرحلة عصيبة، فالأزمة الاقتصادية تعصف بها نتيجة تفني الوباء وانتشار القحط سنة 352هـ/963م، وإثر انخفاض منسوب النيل الذي بدأ سنة 351هـ/962م واستمر تسعة سنوات أنتج انخفاض كمية القمح واضطراب الأسعار[4] ووصفه المقريزي(الوباء) بأن الموت انتشر بحالة عجز الناس عن تكفين موتاهم، وعن مواراتهم حتى قيل أنّه كان يلقى بجثث الموتى بالنيل لكثرتها[5]، وذكر بن خلّكان أن عدد الموتى بلغ ستة ألاف، ويضاف إلى ذلك عجز كافور الإخشيدي عن صد القرامطة، الذين نهبوا حجاج مصر في طريقهم إلى مكة سنة 355هـ/966م، كما عجز كافور عن دفع رواتب جنوده فتنكروا له وغاروا عليه.

(1) البويهيون: مثلوا حركة شيعية زيّدية، يمثلون العنصر الديّلمي الذي كان يسكن في جنوب بحر قزوين.وفيما يتعلق بين الخلافة العباسية والبويهيين، أنظر تاريخ الدولة العباسية، ص223-231.

(2) ايمن فؤاد السيد، الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص132.

(3) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص91.

(4) جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص63؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط1، دت، ج3، ص354.

(5) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص27.

واستمرت هذه الحالة السيئة بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة 357هـ/968م، الذي كان يقف حجر عثر أمام طموح الفاطميين، فإن مات اضطربت الأوضاع وكثرت الفتن، ثمة ظاهرة حقيقية تتمثل في تغلغل الدّعوة الفاطميّة في المجتمع المصري بفضل الدعاة، فكان للمعز العديد منهم في مصر، يبثون مبادئ الدّعوة الفاطميّة ويزينون لهم صورة المعزّ ويحسنون طاعته، وخلع طاعة العباسيين، وبهذه الطريقة تضاعفت أنصار الفاطميين في مصر وصاروا يراسلون الخليفة، ويوافونه بأخبار البلد أول بأول، وحسب ما رواه المقريزي كاتب هؤلاء دعاة المعزّ وقالوا له: "إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعزّ لدّين الله الدنيا كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود" [1].

2) الحملة على مصر سنة 358هـ/969م:

عندما أعلن المعزّ عزمه التوجه إلى مصر، لم يتخذ هذا القرار إلاّ بعد أن استعد لذلك تماما، وأمّن الضمانات الكافية لنجاح مشروعه، وكان بلغ ذروة قوته، فهو صاحب إفريقية وصقيلية دون منازع، وأضحى نفوذه يضاهي الخليفة الاموي في قرطبة والإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية، وتجاوزت شهرته الحدود الشرقية لمملكته، وشجعته أوضاع المشرق عامة، ووضع مصر خاصة، وبدأت استعدادات التجهيز للحملة سنة 355هـ/966م، حيث أرسل قوة عسكرية استطلاعية إلى مصر، وقف افرادها على مدى صلاحية الطريق الذي ستسلكه الفرق العسكرية إلى مصر صدها كافور [2]، وأمر المعزّ بحفر آبار الماء في الطريق وأن يبني له في كلّ موضع قصر، وبناء محطات ليستريح فيها الجيش، وعهد إلى إبنه تميم الاشراف على هذه الأعمال [3]، وحشد الجيش بلغ مئة ألف جندي أغلبهم من القبائل البربرية–خاصة كتامة– وأغدق عليهم الأموال، وتقاضى كلّ جندي منهم حوالي عشرين إلى ألف دينار [4].

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص178.

(2) جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص62.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص96؛ ابن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص81.

(4) نفسه؛ ايمن فؤاد السيد، الدولة الفاطميّة في مصر، المرجع السابق، ص138؛ القلقشندي، المصدر السابق، ص345.

كما أمّن المعزّ الأموال اللازمة للإنفاق على هذه الحملة، والتي قدرت حسب بعض المؤرخين أكثر من مئة ألف صندوق مليء بالذهب والفضة، وذكر آخرون إنّه بلغ اربعة وعشرين ألف دينار، وذهب المعزّ بنفسه إلى المهديّة وجلب من قصر آبائه خمس مئة حمل من الذهب[1].

كان مسير جوهر باتجاه مصر يوم 14 ربيع الأول 358هـ الموافق لـ 4 فبراير969م، في احتفال عظيم حضره الخليفة المعزّ الذي قدم لجوهر قائد الحملة ما يليق بمكانه من التعظيم والتبجيل من كبار رجال الدولة وعلى رأسهم أبناء الخليفة المعزّ[2]، نجح جوهر في فتح مصر دون مقاومة تذكر يوم 17 شعبان 358هـ الموافق 5 جويلية 969م، فأعطى الأمان للمصريين وهرب أعيان الإخشيد إلى الشام وأقام الدّعوة للمعز لدين الله وبنى مدينة القاهرة وأسس الجامع الأزهر سنة 361هـ[3].

3) انتقال المعزّ إلى مصر سنة 362هـ/973م:

لما اطمأن بال المعزّ على أمور المغرب، قرر الانتقال إلى مصر فأوصى بلكين بن زيري عدّة وصايا منها: "يا يوسف إن نسيت ما أوصيناك به فلا تنسى ثلاثة أشياء، لا ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تولي أحدا من إخوتك، فإنهم يرون إنّه ماحق بالأمر منك"، ويضيف البعض وصية رابعة:" واستوصي بالحضر خيرا"[4]، وقد ذكر أبو زكريا وصية المعزّ لبلكين:" اشفيني في أولاد الماجوس، زناتة ومزاتة، واني تركة لك في إفريقية مئة ألف منزل، فجعل في كلّ منزل فارس تكتفي به لمحاربتها"[5].

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص96-97.

(2) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص375.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص375؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، المرجع السابق، ص148-149.

[4]أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، طبعة الرباط، 1967م، ص71؛ إسماعيل العربي، دولة بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية، دط، الشركة الوطنية، الجزائر 1980، ص65.

[5]أبو زكريا، سيّر الأئمة وأخبارهم،تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1948م، ص230.

وقد سعى المعزّ من خلال وصاياه، أن يبين لبلكين ما يجب فعله، حتى يستطيع تثبيت دعائم دولته، نظرا لخبرته لبلاد المغرب وسكانه، لذا أوصاه بإتباع سياسة خاصة اتجاه البربر، تتمثل في عدم رفع الجباية عن أهل البادية، لضمان ولائهم وكما نصحه بأعمال السيف في البربر، لأنهم يشتهرون بالبطش وتقلبهم، وحبهم سفك الدماء، أمّا سبب منعه من توليه إخوته لأنهم سيعتبرون أنفسهم أعظم شأنا منه، وأكثر خدما منه للدولة الفاطميّة[1]، وعن وصيته له بالاهتمام بالحضر كونهم يمثلون شريان اقتصادي فهم يدفعون الضرائب والمكوس، ولم يهددوا الدولة أبدا[2].

وقد علق أبي الضياف على هذه الوصية بأنها معقولة فأهل البوادي لولا الجباية لما عمرو أرضا، ولا سعوا في تكسب لما في طباعهم من الشدّة، وأرزاقهم في ظلّ رماحهم، وأوصاه في عدم المسامحة في الجباية، أمّا البربر نظرا لكثرة قبائلهم فهم يميلون للقتل والسيطرة[3].

قام المعزّ بتشتيت القوى في المغرب لإضعافها حيث قسم البلاد إلى عدّة قوى سياسية عين على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، حتى يكون شوكة في ظهر صنهاجة، وجعل إمارة صقيلية وراثية في بني حسن الكلبي ليهددوا بني زيري بأسطولهم متى شاءوا كما وضع بجانب بلكين بن زيري رجالا لهم نفوذ في الدولة ليكونوا عيونا عليه وأعوان في الوقت نفسه. وذلك خشية أن يستقل ببلاد المغرب الإسلامي [4].

---

[1]ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص75.

[2] محمّد بن عميرة، المرجع السابق، ص240؛ عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص283.

[3] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج1، ص132.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص304؛ ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص49؛ محمّد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام297-567هـ، دار النفائس، بيروت، ط2، 2007م، ص216.

بعدما تم فتح مصر رحل المعزّ إليها وكان مسيره في أواخر شهر شوال سنة 361هـ/972م، وأخذ معه أمواله ومتاعه، وتوابيت آبائه وأجداده، وسبك الدنانير على هيأة الطواحن وجعل كلّ طاحونتين على جمل[1]، ووصل إلى الإسكندرية في أواخر شهر شعبان 362هـ/973م، فاستقبله كبار الأعيان والعلماء ووعدهم بأنه قادم ليزيل الظلم عنهم، ووعظهم وأطال الوعظ[2]، ثمّ توجه إلى القاهرة في سبعة رمضان من نفس السنة، وبذلك تحولت أنظار الاسماعيليّة إلى مصر وأصبحت العاصمة الدينية والسياسية، وبذلك فتحت صفحة جديدة في تاريخ الدولة الفاطميّة. أمّا بالنسبة لبلاد المغرب وللمرة الأولى في التاريخ، أصبح رجل من صميم أهل بلاد المغرب والي دولة إسلامية، وكان عليه أن يكمل استقلال هذه البلاد، ويهيئ لها سبل النظام والقوة ، وبذلك دخل الحكم الإسلامي بالمغرب دور جديد، إنّه دور استقلال المغاربة بأمور الحكم ببلادهم[3]، وفي الواقع لم يعد في مقدور الفاطميين بعد أن استقر سلطانهم في مصر واتخذوها مقرا لهم أن يتدخلوا بصفة مباشرة في بلاد المغرب[4]، حافظت قبيلة صنهاجة على ولائها للفاطميين واتسع سلطانها[5]، ولكن بعد وفاة المعزّ لدّين الله سنة 365هـ/976م تولى الحكم ابنه العزيز فبدأت تظهر بوادر الجفاء بين الفاطميين والزيريين[6].

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص45-46؛ ووصف ابن هانئ الأندلسي شاعر المعزّ هذا الجيش في قصيدة طويلة قال في مطلعها:

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع — وقد راعني يوم الحشر أروع

غداة كان الأفق قد سد بمثلــه — فعاد غروب الشمس من حيث طلع

أنظر: ابن هانئ الأندلسي، ديوان ابن هانئ، دار صادر، بيروت، 1964م ، ص106-1017

[2] عارف تامر، المعزّ لدّين الله الفاطمي، المرجع السابق، ص56.

[3] حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي وحضارته، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الاولى، 1996م، ص568.

(4) صابر محمّد دياب، سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري إلى نهاية الفاطميين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1973م، ص127.

(5) عدها ابن خلدون أضخم ملك بافريقية في قوله:"كان أضخم ملك عرف للبربر بافريقية وأشرفه، وابذخه". العبر، المصدر السابق، ج6، ص318.

(6) محمّد صالح مرمول، المرجع السابق، ص174.

الفصل الرابع:

لمحة عن النشاط الثقافي ومظاهر الحياة الاجتماعية في عهد المعزّ

أولا: النشاط الثقافي في عهد المعزّ لدين الله

ثانيا:أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في عهد المعزّ

أولا: النشاط الثقافي في عهد المعزّ لدّين الله

1)دور المعزّ في النشاط الثقافي بإفريقية:

ارتبطت الحياة الثقافية عند الفاطميين بالمذهب الذي يدينون به، حيث وضعوا نصب أعينهم نشر المذهب الشّيعي الإسماعيلي وبالتالي تثبيت فكرة المهداوية في النفوس، ونصرة التعاليم الفلسفية المشوبة بضروب السحر لخدمة ذلك تم تسخير الشعر والأدب لهذه الغاية، كما أنّ الدولة عملت على تنظيم الدعيات الدينية السياسية تنظيما دقيقا وإحداث مناصب مهمة كدّاعي الدّعاة وأعوانه وتعزيز ذلك ببيت الحكمة ومحاولة القضاء على المذهب السني لإحلال المذهب الشّيعي الإسماعيلي محله[1].

يعد عصر المعزّ من أزهى عصور الدولة الفاطميّة، حيث نهض بالجانب العلمي والأدبي والثقافي، حتى أصبحت المنصوريّة في المغرب كعبة للعلماء والشعراء وطلاب العلم والمستجيبين للدعوة الإسماعيليّة، فمكتبة المنصوريّة كانت زاخرة بالكتب، وقد بلغ من شغف المعزّ بهذه المكتبة أنّه كان يعرف مواضيع ما فيها من الكتب وما تحويه من المعلومات[2]، فقد كان يقول: "والله ما تلذذت بشيء تلذذي بالعلم والحكمة"[3].

أثر المعزّ في الحياة العلمية فقد كان يعمل على تشجيع العلماء وتقريبهم إليه، وإغداق الأموال عليهم، والإشراف على تأليف المؤلفين، ويشاركهم بإضافة آرائه، وانتقاد المؤلفين نقد العالم الضليع[4]، فقد وقف المعزّ على كتاب الدينار الذي ألفه القاضي النعمان، فأمره بجودة الاختصار واقترح عليه إعادة تسميته، فبدل كتاب الدينار سماه كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار[5].

---

(1) رابح بونار، المرجع السابق، ص 69.

(2) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص222.

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص94.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص223.

(5) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص260.

كما أثّر المعزّ في الحياة العلميّة ، كونه أديباً وشاعراً، نظم الشعر وألّف الخطب، وكانت له مشاركة فعليّة في فنون النحو واللغة والنقد ، وولع كبير بالعلوم النقليّة والشرعيّة[1] بل كان له حذق كبير بالصناعات اليدوية، ويذكر النعمان إنّه كان صاحب اختراعات عجيبة، لم يسبق إليها كالقلم الخازن للحبر[2]، وأنّ الإمام المعزّ قد جعل بلاطه في المنصوريّة مركزا للمساجلات الفقهيّة و المناظرات العقائدية، بين مختلف المذاهب و الفرق من الشّيعة والمالكيّة والأحناف والإباضية والمعتزلة وكان يحضر هذه اللقاءات ويشارك فيها ويحرّض أصحابها على التباري والتنافس فأصبح بلاطه إذن مقصدا لكثير من العلماء الذين جاؤوا من كلّ مدن إفريقية، كما أنّ للمدن والقرى التي كانت تحيط بالمنصورية علماءها وأدباءها وشعراءها خاصّة العبّاسية.

ويتضح فوق ما تقدم، إنّ الكاتب الموالي للدولة الفاطميّة كان يحضى بمكانة خاصة، إذ يلقى الإجلال والتقدير من الحكام أنفسهم، فهو الحافظ لأسرارهم وخفايا أمورهم، وفي الوقت نفسه هو من يمجدهم ويحيطهم بالتعظيم والتقديس، والملفت للإنتباه هو الحرص على أسلوب الكتابة في جميع المكاتبات، التي يشترط فيها صحة المعنى وجزالة اللفظ، وجودة الخط، سلامة اللغة، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم، حتى تكون المكاتبة سليمة وصحيحة، لهذا ليس من السهولة بمكان تولي منصب الكتابة في ديوان الإنشاء، إذ لابد من شروط يجب توفرها لصاحب الخط، أولها الثقة، ثانيها المؤهلات التي تسمح له بالمنصب العالي، ومنها حفظ القران الكريم، فصاحة اللغة، الخط الجيد، الإلمام بعلوم الأدب حتى إذا وردت مسألة دينية، أو سياسية كان مستطيعا أن يخوض فيها، وأن يتحدث عنها[3].

---

(1) نشيدة رافعي، الحياة الفكريّة والثقافيّة في المغرب في العصر الفاطمي 296 – 362هـ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ بكلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر، 2002– 2003 م، ص348 .

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص319 .

(3) أحمد بدوي، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، القاهرة، ط2، دت، ص332.

كما كان يعقد المعزّ المجالس العلمية فيحضرها كبار رجال دولته ومشايخها وعلمائها وأدبائها، فحسب شهادة القاضي النعمان كان المعزّ يعقد هذه المجالس كل يوم جمعة في قصره[1]، ومن المصادر الفاطميّة التي تلقي ضوءا على الجانب الأدبي للمعزّ، هما مصدران هامّان، أوّلهما كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان، الذي جمع فيه كلّ ما رآه وسمعه من المعزّ [2] يعد هذا الكتاب قطعة أدبية رائعة ويمتاز بأسلوب رقيق وسهل وانسجام ألفاظه ومعانيه، كما احتوى على عديد التوقيعات والمكاتبات التي جرت بين النعمان والمعزّ، ومنها عدد غير قليل بخطّ الخليفة نفسه أمّا المصدر الثّاني فهو كتاب "سيرة الأستاذ جوذر" لأبي علي منصور العزيزي الجوذري [3]، يقول مؤلّف السيرة عن نفسه في مقدّمة الكتاب، إنّه دخل في خدمة الأستاذ كاتبا له سنة 350هـ[4]، فبصفته كاتب جوذر فقد اطّلع على الوثائق المتبادلة بين الأستاذ جوذر والأئمّة، بل صار محلّ ثقة الأئمة أنفسهم، فهذا الكتاب أيضا يحتوي على ما جرى بين المعزّ لدّين الله وجوذر من التوقيعات والمكاتبات وتوجد من بينها، بعض التوقيعات بيد المعزّ نفسه[5]، فهذان المصدران خير شهادة، على المستوى العلمي والأدبي الذي وصل إليهما المعزّ، وهذا الاعتناء أوجد جواً علمياً ممتازاً أفرز مؤلفات هامة في الرياضيات والفلك والطب، فقد كان للمعزّ حس هندسي كبير، ذو نظرة هندسية ثاقبة، له عدّة أعمال من بينها تفكيره في إجراء البحر إلى عاصمته المنصوريّة والدليل على ذلك ما ذكره

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص222.

(2) يذكر النعمان سبب تأليفه للكتاب فيقول :"وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعزّ ..من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة .المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص45.

(3) لا نزال نفتقر إلى أخبار تعرّفنا بحياة منصور الكاتب مؤلّف الكتاب ،فالمصادر التي بين أيدينا شحيحة ، ولم يذكره سوى المقريزي في معرض حديثه عن الجودريّة . الخطط، المصدر السابق، ج3، ص7؛ الجوذري، المصدر السابق، صص2-3-4 .

(4) الجوذري، المصدر السابق، ص33.

(5) نفسه، صص84 -97 -98 -125.

القاضي النعمان فقال: "في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا" وذلك للإشارة إلى ربط المنصوريّة بالقيروان بحرا[1]، كما كان الخلفاء الفاطميون مولعون بالفلك والتنجيم، بما فيهم الخليفة المعزّ لدّين الله، فإنه كان ماهرا في علم النجوم إلى جانب مهارته في علوم الطب والهندسة ولكنه كان غير مؤمن بتأثيرها هو الآخر، وكان يرى أن النظر في النجوم صالح لمعرفة قدرة الله ، ولكنه غير نافع في معرفة حظوظ الناس[2]. أمّا في مجال الطب شهد منتصف القرن الرابع هجري بالمغرب بزوغ نجم أسرة طبية مشهورة وهي أسرة الجزار[3]، التي اشتغلت بالطب مدة مائة عام، من بينهم أحمد إبراهيم بن الجزار من أهل القيروان[4]، كان ممّن لقي إسحاق بن سلمان وأخذ عنه وكان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة في الطب[5]، فقد فتح داره لمعالجة المرضى وهيأ سقيفته "صيدلية" يبيع فيها غلامه ما كان فيها من أدوية بإرشاد ابن الجزار نفسه[6].

وإلى جانب عمله كطبيب كانت هوايته جمع الكتب الطبية و إقتناءها، فقد ذكر المؤرخون أن من بين مخلفاته، وجد خمسة وعشرون قنطاراً من الكتب الطبية [7]، من مؤلفاته : رسالة في النوم واليقظة، رسالة في الزكام، طب الفقراء المساكين ويهدف هذا الكتاب إلى تبسيط العلوم الطبية وتوجيه المرضى إلى نوع من العلاج الذاتي[8].

---

(1) يوسف حوالة، الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح حتى القرن الخامس الهجري(90هـ-450هـ)، جامعة أم القرى، 2000م، ص30

(2) القاضي النعمان، المجاس و المسايرات، المصدر السابق، ص 148.

(3) نشيدة رافعي، المرجع السابق ، ص559.

(4) ابي داود سليمان ابن جلجل، طبقات الأطباء و الحكماء، تح: فؤاد السيد، دار الكتب المصرية، مصر، ط 2، 1405هـ/1985 م، ص100.

(5) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص553.

(6) حسن عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس،1972 م، صص239-241.

(7) ابن أصبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، المطبعة الوهبية، ط 1، د ت، ص 438.

(8) حسن عبد الوهاب، ورقات، المرجع السابق، صص 245-246.

فيعتبر كتابه زاد المسافر وقوت الحاضر في علاج الأمراض وهو أهم المراجع الطبية في القرن الرابع هجري[1]، ومن أسرة الجزار نذكر أيضا إبراهيم بن الجزار كان كحال أي طبيبا من أطباء العيون[2]، كما عرف العصر الفاطمي بروز أسرة العزار، التي اشتغلت في الطب في عهدهم، وهي أسرة يهودية عاشت في إفريقية آنذاك، وأول رجال هذه الأسرة هو موسى بن العزار[3] الذي كان بارعا في طب العيون وهو الحقل الذي تخصص فيه، ولقد إصطحبه الخليفة المعزّ لدّين الله إلى مصر ومما ينسب إليه مصنفات كتاب أمراض العيون ومداواتها[4].

2) مراكز الإشعاع الفكرية الشّيعية ببلاد المغرب:

أ) مدينة رقّادة [5]:

عاصمة الفاطميين الأولى بإفريقية، اتّخذها عبيد الله دار ملكه في ربيع الأول من سنة 296هـ[6] وبقيت فاطميّة إثنتا عشر سنة إلى انتقال المهدي سنة 308 هـ إلى عاصمة ملكه الجديدة "المهديّة". وتتفق المصادر التاريخيّة أنّ رقّادة كانت دار الملك لبني الأغلب، منذ أن أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة 263هـ[7]، إلى أن هرب منها زياد الله وسكنها عبيد الله المهدي سنة 296هـ. كونها عاصمة سياسية وإدارية، شهدت طيلة بني الأغلب نشاطا علميا فلسفيا وازدهارا أدبيا ثقافيا، ورثه الفاطميون عند انتصابهم بها، وتواصل إشعاع رقّادة الأدبي والثقافي في العصر الفاطمي، رغم أنّها لم تبق عاصمة أكثر من اثنتي عشر سنة وتنقل النصوص التاريخية أنّ المهديّ لم يستقرّ له أمر حكم بإفريقية ولم يبق في رقّادة أكثر من أربع سنوات.

---

(1) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص 553

(2) حسن عبد الوهاب، ورقات، المرجع السابق، صص 239- 241

(3) ابن أصبعة، المصدر السابق، ص381

(4) يوسف حوالة، المرجع السابق، ص381 .

(5) تقع جنوب مدينة القيروان، تبعد عنها حوالي 6كلم، بينها وبين القيروان 4 أميال، أنظر: البكري، المصدر السابق، ص27.

(6) القاضي النعمان : افتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص300.

(7) حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب، تونس، 1994 ص87.

حتى بدأ التفكير في عاصمة جديدة لدولته، تكون على ساحل البحر بعيدة عن مراكز القوى المضادة [1].

وعلى الرغم من كونها عاصمة ظرفية الدولة الجديدة لم توقف عملية الإشعاع الأدبي والثقافي حيث عرفت طيلة الفترة الفاطميّة بها حركة ونشاطا عظيمين، حيث كان الإشعاع الثقافي علميا فقهيا وعقائديا ترعرع ونمى ببيت الحكمة، إذ أن عملائه (بيت الحكمة) وفلاسفة وأطباء وأدباء من دراسة وترجمة وتأليف في شتى الميادين، أمّا عن النشاط العقائدي فلقد اتّخذ الفاطميون بيت الحكمة محلا لمجالس الدّعوة الإسماعيليّة[2].

ب)**مدينة المهديّة**[3]:

من مراكز الإشعاع الفكري في العصر الفاطمي مدينة المهديّة، عاصمة الخلافة الفاطميّة وقاعدة ملك المهدي والقائم الخليفتين الأوليين، وبناها عبيد الله سنة 303هـ، وانتقل إليها سنة 308هـ، وقد سمّيت بالمهديّة نسبة إليه[4]، وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع على رأس بارز من البحر (كهيئة كفّ متّصل بزند والبحر محيط بها) وهي إلى الشّرق من مدينة سوسة، وتبعد عن القيروان بمرحلتين [5] وهو ما يبيّن مدى نمو العمران في هذه الناحية.

---

[1] التجاني، المصدر السابق، ص320-321؛ يوسف حوالة، المرجع السابق، ص160 وما بعدها من عدّة صفحات.

[2] نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص403.

[3] تقع على ساحل القطر الإفريقي، في الجنوب الشّرقي من مدينة تونس، تبعد عنها حوالي 200كلم، وفي شرق القيروان، بناها الخليفة عبيد الله وسكنها سنة 308هـ، ويعود سبب انتقاله إليها، انّ رقّادة كانت قريبة من القيروان، عاصمة أهل السّنّة، ومعقل المعارضة القويّ للمذهب الشّيعي، أنظر : ابن عذاري، المصدر السابق، ص184؛ القاضي النعمان، أفتتاح الدّعوة، المصدر السابق، ص327-328؛ البكري، المصدر السابق، ص29-30.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص73؛ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص41-43؛ حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص97.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص73؛ البكري، المصدر السابق، ص29.

وقد بذل المهدي الكثير من المال والجهد في بنائها وتحصينها بأبواب حديدية سميكة وغالية، وسورها بسور قويّ مرتفع من الحجر تحيطه الأبراج والبوابات الثقيلة[1]، ولقد كانت المهديّة مركزا من مراكز الإشعاع الأدبي بالغ الأهمية في العصر الفاطمي وذلك راجع لاحتضانها للخلفاء والأمراء وأرباب السيف والقلم والطبقة الأرستقراطية القيروانية، إذا كان رجال الأدب والشعراء يجيدون فيها حياة الرغد والنعيم وأسباب اللذات المباحة[2]، وبانتقال المهدي إلى عاصمته الجديدة حمل إليها خزائن كتب رقّادة وعلمائها وكل النشاط الفكري والعلمي والأدبي الذي نمى فيها وأصبحت مراكز للعلوم الطبية والرياضية، ومهدا للفلسفة والآداب[3].

ولقد تمثل النشاط الأدبي والشعر بها أنّ كتاب ديوان الرسائل كالأستاذ جوذر وغيره من الذين بلغ معهم النثر الفني في رسائلهم درجة مرموقة من الفصاحة والبلاغة، وفي النشاط الشعري لا يمكن إغفال دور الخليفتين المهدي والقائم الذين ساهما في تنشيط الحياة الأدبية، إذ كان كلاهما شاعرا في هذا الفن الشعري الذي تحتاجه الدولة الفاطميّة كباقي دول العالم الإسلامي للتغني بأمجادها والدفاع عن سياستهم وكذا التشهير بأعدائهم في العقيدة والسياسة[4].

ورغم كونها عاصمة ظرفيّة قصيرة العمر[5] أصبحت مركز جذب كبير للعلماء والأدباء والأطبّاء وغيرهم سواء من الذين ساروا في كنف الدولة الفاطميّة طواعية أو الذين اضطرتهم الظروف لسكان المهديّة من أهل السنّة[6].

كان هؤلاء الأدباء والشعراء يجدون فيها حياة الرغد والنعيم، فانتعشت مجالس الأدب والأنس وشاعت أجواء ثقافيّة وأدبية متنوّعة، يُنشِّطها ويديرها من يوجد في المدينة من عناصر أعجميّة من روم وصقالبة ونصارى ويهود، ثمّ إن وجودها في محيط ثقافي وعلمي وأدبي اتّسم

---

(1) عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، الأوراق الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1421هـ / 2000م، ص472-473.

(2) يوسف حوالة، المرجع السابق، صص 173 -175.

(3) نفسه، ص398.

(4) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص399 .

(5) انتقل المهدي إليها سنة 308هـ، وارتحل عنها المنصور سنة 337 هـ.

(6) يوسف حوالة، المرجع السابق، ص173.

بالنشاط والحركة جعلها تستنفذ مما فيها من أدب وعلم وثقافة، وغدت المهديّة ساحة يحتدم فيها الجدل المذهبي بين دعاة الشّيعة وبين علماء المالكيّة[1].

ج) مدينة صبرة المنصوريّة [2]:

هي عاصمة الخلافة الفاطميّة، في عصرها الذهبي، ومستقرّ الخليفتين الفاطميين الثالث والرّابع المنصور والمعزّ لدّين الله [3]، بناها المنصور على موضع انتصاره على أبي يزيد سنة 334هـ، أنشأها تحدّيا لكل أعداء الدولة، إنّها إشارة إلى بدء عهد جديد هو عهد الانبعاث والقوّة، وانتقل إليها سنة 337هـ وسماها صبرة المنصوريّة، وظلت عاصمة للدولة الفاطميّة إلى أن انتقل عنها المعزّ إلى مصر سنة 362هـ، وتكمن أهميتها كعاصمة سياسية وإدارية[4]. وتقع هذه المدينة على بعد نصف ميل من القيروان[5]، ولقد ازدهرت في هذه المدينة الحياة العلمية والأدبية والثقافية، وأثرى المنصور مكتبة المنصوريّة بنقل خزائن الكتب التي كانت برقادة والمهدية، كما اعتنى المنصور ثمّ المعزّ باقتناء المخطوطات والمؤلفات النادرة ووضعها بمكتبة المنصوريّة الفاطميّة التي أصبحت تحوي عشرات الآلاف من الكتب النادرة[6]، وبنى المعزّ لدّين الله الحنايا وعدّة قصور مزدانة بالبساتين والأحواض منها قصر البحر [7].

---

[1] يوسف حوالة، المرجع السابق، ص176.

[2] اضطرّ المنصور بالله بعد انتصاره على ثورة أبي يزيد، إلى ترك المهديّة، والانتقال إلى العاصمة الجديدة، صبرة المنصوريّة التي أسسها المنصور بالقرب من القيروان حتى يجعل المالكية تحت أنظاره. أنظر: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، صص55-72-73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، صص422-441؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص235؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، صص216-220، 225؛المقريزي، اتعاظ الحنفا ، المصدر السابق، صص 75-86؛ عماد الدّين إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار، المصدر السابق، السبع الخامس، ص172؛ المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1987، ص146.

[3] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص217؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص73؛ القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص 23-27.

[4] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص218؛ يوسف حوالة، المرجع السابق، ص74.

[5] لا شكّ في أنّ المكان الذي وقعت فيه المعركة التي انتصر فيها المنصور على أبي يزيد مخلد بن كيداد، ويوجد بجوار صبرة، وهي التي أصبحت مدينة المنصوريّة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص695؛ التجاني، المصدر السابق، ص338.

[6] نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص340.

[7] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص208-209.

كما كان المعزّ لدّين الله يستحث همم المغاربة للتزويد من العلم وكان يحلم بأن يحكم شعبا مثقفا، وكان يعمل على تشجيع العلماء ويقربهم إليه، كما كان يشرف على مؤلفاتهم وبحوثهم، ويتناولها بالتغيير والتعديل ويضيف إليها ما هو ضروري من الآراء كما كان ينقد المؤلفين نقدا ضليعا، ومن أشهر العلوم التي اشتغل بها العلماء في عهده التفسير والحديث والمناظرة والفقه والتأويل والعقائد والفلسفة والوعظ، كما نشط المعزّ لدّين الله في نشر المذهب الإسماعيلي فوضع نظاما مفصلا، فكان يجتمع مع الدعاة الكبار فيما يسمى مجالس الحكمة ويقرأ عليهم المحاضرات والتعاليم في أصول وقواعد المذهب والحكمة والعلم الحقيقي[1]. وبذلك أصبحت المنصوريّة في عصر المعزّ مركزا من أهم مراكز الإشعاع الأدبي، فلا نبالغ إن زعمنا أنّها قد عاشت في عهد المعزّ عصرها الذّهبي إذ تطاولت على سائر المدن الإفريقية، وزاحمت الفسطاط وقرطبة بل بغداد.

د) مدينة المحمدية (المسيلة):

مدينة تقع بالمغرب الأوسط، في شمال السهول الحضنة، على ضفّة نهر يُقال له واد سهر[2] أسسها القائم بأمر من أبيه عبيد المهدي 313هـ [3]، فانتقلت إلى مدينة فاطمية، فحكمها ابن حمدون، وقد أقامه القائم بأمر الله لبنائها ثمّ استمرّ حكمها في ابني حمدون"جعفر" و" يحي"[4]، وصارت في عهدهما عاصمة منطقة الزّاب ومركزا أدبيا وثقافيا هاما ساعد في ذلك شخصية الأخوين (جعفر ويحي) فإضافة للحنكة السياسية والقيادية الحربية، اهتمامهما بالعلم والثقافة والأدب.

وبذلك أصبح البلاط الحمدوني مأوى لأهل العلم والأدب حيث توجه الشاعر أبو هاني إلى البلاط واستقر به مدة خمس سنوات (من 348 هـ إلى 353 هـ)، أين نظم في مدحها غرر القصائد حتى أنّها أصبحت في عهد المعزّ القطب الشّيعي الثاني بعد المنصوريّة الذي جمع

(1) عارف تامر، المعزّ لدّين الله الفاطمي، المرجع السابق، ص196-198.

(2) الهادي روجر إدريس، الدولة الصنهاجيّة، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري ،تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص91.

(3) ابن حمّاد، المصدر السابق، ص45-46.

(4) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص32؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، صص238-240.

حوله النشاط الأدبي والثقافي[1]، وصفها ابن خلدون بأنّها عامرة بالسكان ومزدهرة بالصنائع، يقول:" واستجدّوا بها دولة وسلطانا، وبنوا القصور والمتنزّهات، واستفحل بها ملكهم، وقصدهم بها العلماء والشعراء، وكان فيمن قصدهم ابن هانئ شاعر الأندلس"[2]، فظهر أنّ شهرة البلاط الحمدوني تجاوزت المغرب وبلغت المشرق. استقرّ ابن هانئ في ظلّ الأخوين خمسة أعوام كاملة من سنة 348هـ إلى سنة 353هـ فنظّم في مدحهما غرر القصائد[3]، وهكذا كانت الزّاب في هذه الفترة، عاصمة للشعر في كامل المغرب، فهي بغداد كما تغنّى بذلك ابن هانئ، فكان هذا المركز الأدبي " الشّيعي" يُمثّل في عهد المعزّ خاصّة القطب الثاني الذي جمع حوله النشاط الأدبي والثقافي، وابن هانئ بعد أن ذاع صيته بكامل المغرب يُلبّي دعوة الخليفة المعزّ فيلحق ببلاط المنصوريّة [4]، فيصبح شاعر الدولة الرسمي.

3)مشاهير الأدباء الفاطميّون في عهد المعزّ

في عهد المعزّ لدّين الله تقدمت الثقافة تقدما باهرا، وخاصة الثقافة التي تتصل بالدعوة الإسماعيليّة كالفقه والتفسير، ونبغ في عهده دعاة أفذاذ وشعراء وأدباء، وشارك المعزّ في هذه النهضة بنصيب كبير[5]، أبرزهم الفقيه القاضي النعمان والشاعر ابن هاني الأندلسي.

أ) القاضي النعمان (ت 363هـ/974م):

القاضي النعمان هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، يسميه الإسماعيليّة سيدنا القاضي النعمان، كما يسمونه سيدنا الأوحد والقاضي الأجل ويعرف عندهم أيضا بأبي حنيفة الشّيعي، ليميزوا بينه وبين أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي[6]، ولد بإفريقية كان النعمان في بداية أمره مالكي المذهب، إلاّ أنّه انتحل بعد ذلك

---

[1] نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص407.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص175.

[3] مدح ابن هانئ الأميرين بستٍ وعشرين قصيدة ، أنظر: محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص303.

[4] نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص407.

[5] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص258.

[6] نفسه؛ حسن عبد الوهاب، ورقات، المرجع السابق، ص 203.

المذهب الإسماعيلي فأخلص له حتى أصبح دعامة من دعاماته[1].

إنّ المصادر التي تتحدث عنه وإن كانت غير قليلة إلاّ أنّ ما تقدمه من معلومات جمع بين الغموض والاختصار، والشيء الثابت أنّ القاضي النعمان صاحب أربعة خلافاء المهدي والقائم والمنصور والمعزّ، وكان قاضيهم وصاحب سرهم ومستشارهم وكان من أكبر علماء الدّعوة وأخلصهم لها وأفقههم بدون منازع[2]، ولقد تنوعت كتب النعمان تنوع على سعة معرفته وإحاطته بأسرار الدولة، وأفاد الدّعوة الإسماعيليّة بكثرة مؤلفاته في الفقه الإسماعيلي وفي المناظرة والتأويل والعقائد والسيّر والتاريخ[3]. أمّا عن مؤلفاته الفقهية نذكر منها:

- كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وهو في مجلدين يشمل على سبعمائة صفحة، تم تأليفه بطلب من الخليفة المعزّ[4].
- كتاب الصلاة، كتاب الإيضاح وهو طويل بلغ عدد كراسته أزيد من مائتين وعشرين كراسة وكتاب منهاج الفرائض[5].

أمّا عن مؤلفاته في التاريخ كتاب افتتاح الدّعوة وكتاب المجالس والمسايرات أرخ فيهما للدولة الفاطميّة فزودنا بمعلومات قيّمة عن الخلافاء الفاطميين بالمغرب وعلاقاتهم بالدولة الفاطميّة بالأندلس[6]، وصف ابن خلّكان كتبه إذ قال فيه:"إن النعمان ألف لأهل البيت آلاف الأوراق بأحسن تأليف وأملح سجع، وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا ....وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت"[7].

إضافة إلى مؤلفات القاضي النعمان ظهر كتاب حمل العديد من الجوانب الفقهية، ينسب

(1) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 5، ص405.

(2) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص97.

(3) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص98؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص475.

(4) حسن عبد الوهاب، ورقات، المرجع السابق، ص 204.

(5) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 5، ص415 .

(6) نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص98

(7) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج 5، ص416 .

للخليفة المعزّ لدّين الله، ومما ينسب إليه أيضا كتاب المناجاة[1]، وجاء في تعليق المؤرخين عن النعمان: "كان للنعمان أثر لا يعد له أثر في النهضة الثقافية للدعوة الإسماعيليّة لذلك يحق للعلماء أن يسموه المشرع الإسماعيلي، فقد كان المساعد الأيمن المعزّ ولسانه الناطق واستحق بهذا كله أن يتربع على عرش الدّعوة الإسماعيليّة في المغرب وأن يورث أبناءه هذه الزعامة في مصر توفي في شهر جمادى الثانية سنة 363ه وصلى عليه المعزّ لدّين الله[2].

ب) الشاعر ابن هانئ الأندلسي:

من أشهر شعراء المعزّ لدّين الله، هو محمد بن هانىء، يلقب بأبي القاسم وأحيانا بأبي الحسن ولد في إشبيلية بالأندلس سنة 320ه، والده هانىء إفريقي ولد بالمهدية سنة 300ه ثمّ انتقل إلى الأندلس[3].

اهملت المصادر نشأة الشاعر وتكوينه وذلك لتشيعه لما في شعره من الغلو والإفراط في مدح الأئمة بينما ينفرد ابن الآبار بذكر أنّ أكثر تأدبه كان بدار العلم بقرطبة[4]، اتصل بأول عهده بصاحي إشبيلية فمدح وحظي عنده، غير أنّ استهتاره وانهماكه في الملاذ وغلوه في التشيع، حقد عليه أهل المدينة حتى هموا بقتله، فأشار عليه صاحب إشبيلية بالبعد عن هذه المدينة ريثما ينسى الناس أخباره، فخرج إلى عدوة المغرب وله من العمر سبع وعشرين عاما[5]. اتصل الشاعر عند بلوغه المغرب سنة 347ه [6] مع القائد الفاطمي جوهر الصقلي الذي أنفذه المعزّ لإخماد ثورات المغرب الأقصى[7]

[1] يوسف حوالة، المرجع السابق، ص400 .

[2] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطميّة، المرجع السابق، ص478؛ نشيدة رافعي، المرجع السابق، ص101.

[3] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص225؛ محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص108.

[4] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصّلة، نشره: ابن أب شنب، مطبعة فونتانة الشرقيّة، الجزائر،1957 ، ص153.

[5] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص226؛ ابن هانئ الأندلسي، المصدر السابق، ص5.

[6] محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص117 .

[7] تاريخ فراغ جوهر من حملته المغربيّة التي قادها حتّى الحدود الجنوبيّة بتافيلالت، وتوّجها بفتح فاس في20 رمضان 348ه/24 نوفمبر959م، أنظر: فرحات الدّشراوي، المرجع السابق، ص232.

لكنّ جوهر لم يُكافئ ابن هانئ بما يرى إنّه لها أهل، إذ أعطاه مائتيّ درهم فقط، ثمّ ارتحل إلى جعفر ويحيى بني أحمد بن حمدان الأندلسي أميرا المسيلة وإقليم الزاب وسرعان ما أصبح الشاعر من خاصّة الأميرين، فبالغا في اكرامه والإحسان إليه واستقر لديهما خمسة سنوات فنمى خبره إلى المعزّ فطلبه منهما[1]، ولما انته إلى المعزّ امتدحه وبالغ في الإنعام عليه، وأقام عنده وهو منعم تسع سنوات أي من 353هـ إلى 362هـ، فلما توجه المعزّ إلى مصر لحقه ابن هانيء ولما بلغ برقة استضافه شخص من أهلها وقام عنده أيام في مجالس الأنس والطرب، فقال إنّه عربد عليهم فقتلوه، وقيل إنّه خرج سكران فنام في الطريق فأصبح ميتا ولم يعرف سبب موته[2].

ولما بلغ المعزّ وهو في مصر، خبر مقتله تأسف عليه كثيراً وقال: "لا حول قوّة إلاّ بالله، هذا الرجل كنّا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يقدّر لنا ذلك"[3]، أمّا عن منزلته في الشعر قال فيه ابن خلكان: " وليس في المغاربة من هو في طبقته ولا من متقدّميهم ولا من متأخّريهم، بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة" [4].

المتصفح لديوان ابن هانئ الأندلسي الذي يقع في مئتين وست وأربعين صفحة يجد أنّ أكثره قد نظم في مدح المعزّ وأسرته [5].

---

(1) محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص117–118؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص226.

(2) حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف، المرجع السابق، ص226؛ ابن هانئ الأندلسي، المصدر السابق، ص6.

(3) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص226.

(4) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج4، ص424.

(5) حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف، المرجع السابق، ص226.

ثانيا: أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في عهد المعزّ:

تطورت الحياة الاجتماعية في عهد المعزّ بالمغرب الإسلامي، فقد وضع هذا الخليفة أساس الحياة الاجتماعية كالمواسم والأعياد والاحتفالات الدينية والقومية، وما صحبها من مظاهر الترف والثروة[1].

1)الختان الجماعي سنة 351هـ:

إنّ ختان الأولاد مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في المغرب الإسلامي، مثل بقية أنحاء العالم الإسلامي.

ففي عهد الفاطميين تميزت الاحتفالات بهذه المناسبة، بأنها كانت ذات طابع جماعي، وأصبح مألوفا أن يقوم الخليفة الفاطمي بالإشراف على ختان مجموعة من الصبيان في مملكته، من الفقراء والأيتام والمساكين في حفل بهيج، تفرق فيه الصدقات والهدايا والجوائز القيمة على الحاضرين، في أجواء من الفرحة والألفة[2]، ففي سنة 330هـ/941م ختن إسماعيل المنصور أولاده، وختن معهم ألف صبي من أبناء القيروان، وكساهم وأعطاهم ما ينفقون، وأمر كتامة أن يختتنوا أولادهم[3]، وقام الخليفة المعزّ لدّين الله على خطى والده في إتباع سنّة الختان الجماعي، في سنة 351هـ عزم على ختان أولاده (عبد الله، نزار وعقيلا) ورأى ان يشرك رعيته في أفراحه، وحتم أن يقدم الأهل أبنائهم الصغار ليختتنوا، ويأخذوا من الدولة كفاءة ذلك مالا معلوما، وقد سار المعزّ على هذه السياسة سائر بلاده[4]، وكان المستفيدين لهذه العملية في عهده أكبر وأشمل، بحيث طالت كلّ فئات المجتمع بما في ذلك الفقراء والأغنياء، التجار

---

(1) حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف، المرجع السابق، ص272.

(2) إن ظاهرة "الختان الجماعي" لم تختص بالفاطميين وحدهم، بل كانت معروفة عند العباسيين أيضا، فحينما ختن الخليفة المقتدر أولاده الخمسة، ختن قبل ذلك جماعة من الأيتام، وانفق في هذا الختان مالا كثيرا، قدر بخمسة ألاف دينار عينا، ومائة ألف درهم ورقا، وفرقت فيه دراهم وكسوة، وكان ذلك في سنة 332هـ/943م، انظر: ادم ميتز، المرجع السابق، ج2، ص201.

(3) ابن حمّاد، المصدر السابق، ص47.

(4) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص273.

والفلاحين والذميين، ولم يستثني منهم أحدا، فحسب رواية القاضي النعمان: "ولما أراد الإمام المعزّ لدّين الله، أن يطهر عبد الله ونزار وعقيلا بنيه، تقدم إلى خاصته وأوليائه، وسائر جنده وعبيده، وجميع رجاله وكافة من بالحضرة، من سائر التجار، والصناع، وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان، وجميع مدن إفريقية، وكورها من حاضر وبادي، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها، إلى سجلماسة وحدودها، وما بين ذلك، وما حوته مملكته، إلى جزيرة صقيلية ومن بها، أن يتقدموا في طهور أبنائهم، يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، إلى انقضاء هذا الشهر"[1]، وقد أنفق المعزّ لدّين الله مبالغ ضخمة، حيث ذكر المقريزي:"...فكان من جملة المنفق في ذلك، مما حمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال (سوى الخلع والثياب) خمسون حملا من الدنانير، كلّ حمل عشرة ألاف دينار، ومثل ذلك إلى كلّ عامل من العمال من عمال مملكته ليفرقه في عمله..."[2]، ويظيف: " فكان المعزّ يطهر في اليوم من أيام الشهر بحضرته اثنتا عشرة ألف صبي، وفوقها ودونها"[3].

أمّا فيما يخص بالكيفية التي كانت تتم بها عملية الختان، وبعض ما أحاط بها من مظاهر احتفالية، فقد أفادنا"القاضي النعمان" بمعلومات ثمينة في هذا المجال، حيث أورد فقال: "والختانون في السرادقات على الكراسي، وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان، والقوم يمسكونهم في حجورهم، ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختاناتهم، ويقفون في البخور، وماء الورد على رؤوسهم، ويرشونهم على وجوههم لما يعتريهم من الروع، والسند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم، ويصبحون من طهر منهم يزفون به إلى منزله"[4].

---

[1] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص556.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص94؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص274.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص95.

[4] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص557؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص275.

بدأ هذا الختان سنة 351هـ، وذلك بعد انضواء جميع بلاد المغرب تحت لوائه، وأنفق على طهور أبناء رعاياه في جميع بلاد المغرب – الأدنى، الأوسط والأقصى– واستمر لمدة

شهر وأما عدد المختتنين في المنصوريّة لا يقل عن ربع مليون، واستطاع المعزّ هو وعماله أن يتموا هذه المهمة الشاقة في الوقت الذي حدده تماما، ويدل هذا العمل على حب المعزّ لرعيته ورغبته في اسعادهم وجوده عليهم، وحق له أن يفتخر على معاصريه من الخلافاء والأمراء الذين كانوا ينفقون الأموال في اللهو والمجون[1].

ورد على لسان القاضي النعمان الشاهد على هذا الختان قوله: "كانت أيام هذا الشهر أيام أعياد ومسرات وأفراح وهبات، بكل وجه وجهة من مملكة أمير المؤمنين، من بدو وحضر وعمهم فضله وتبين عليهم أثره، وقد كان أثر جميل لم يسبقه إليه أحد قبله ولا ظنّ أحد أن أحد يتسع له مثله"[2].

2) الأعياد الدينية (عيد الفطر والأضحى):

لقد احتفل الفاطميون في أيام عيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك، فأقاموا الصلوات في المساجد، وأعدوا لذلك موائد طعام، دعوا إليها خاصتهم، وعامة الناس، ووزعوا عليهم الهبات والهدايا، أو ربّما بعثوا بالأضاحي إلى الفقراء والمساكين[3].

تبدأ التحضيرات للعيد، بدعوة الخليفة لأهل بيته وقرابته، لشهود العيد معه، فقد أورد "ابن الآبار" في ذلك:" وبعث المعزّ إلى المهديّة في عمومته، وأهل بيته، فوردوا له، وحضروا معه عيد الأضحى، وخرج فصلى بالناس، وخطب ونحر"[4]. أمّا في صبيحة العيد فيخرج الخليفة من قصره، وقد تزين بأفضل ما عنده من الثياب، استعدادا لإقامة صلاة العيد في المسجد الجامع، ونظرا لأهمية صلاة العيد حرص الخلفاء الفاطميون على أدائها فقد وصف

(1) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص275-276.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص558.

(3) رفيق بوراس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والأثار بطلية اتلعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م، ص99.

(4) ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر الصابق، ج2، ص391.

لنا القاضي النعمان الخليفة المعزّ وهو يقيم صلاة العيد في البراح رغم الماء والوحل ذكر قول المعزّ: " هذا أقل ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه والله لو حبونا في هذا الطين حبوا على الركب وكان ذلك مما يرضّي الله عنا ويقبله منا لفعلناه"[1].

وبعد وصول الموكب إلى المسجد، الذي تقام فيه الصلاة، يدخل الخليفة من المصلى إلى مكان ليستريح فيه قليلا، ثمّ يعتلى المنبر الذي أقيم له المسجد لإلقاء خطبتي العيد على الناس، ومما جاء في خطبتي العيد اللتين ألقاهما المعزّ لدّين الله في سنة 341هـ/952م، قوله في الخطبة الأولى:" الله أكبر، الله أكبر، لا اله إلاّ الله، والله أكبر، الأعز الأقدر الخالق المدبر، ذو الكبرياء والجبروت، والعزة والملكوت الأحد الصمد، الفرد المتفرد، الأعلى القاهر، الباطن الظاهر..."[1]، وبعد أن ذكر بمناسك الحج، والحكمة منه، وقصة سيدنا إبراهيم الخليل مع إبنه إسماعيل، وكيف أنّ الله نجاه من الذبح، جلس على المنبر، ثمّ قام في الخطبة الثانية، فكبر مثل الأولى، ثمّ صلى على النبي محمد (ص)، ثمّ صلى على الأئمة الفاطميين، ثمّ ختم خطبته بالدعاء لعامة الناس[2].

وبعد فراغ الخليفة من أداء صلاة العيد، يأمر بعد ذلك بإعداد مائدة من الطعام ثمّ يدعو الناس لتناولها، ويعرف طعام العيد الذي بقي تقليدا للفاطميين ويوجد في بلاد المغرب الإسلامي حتى الآن بسماط العيد[3]، وقد يستبقي منهم بعض كبار السن، والأطفال لقضاء العيد معه في قصره، تكرما منه ومما ورد في هذا الصدد: "أنّ المنصور بالله استدعى من أهل القيروان ألف شيخ، وألف حدث، فلما وصلوا خيرهم في التعييد معه، أو الانصراف، فعيد إلاّ بعض، وانصرف البعض"[4].

---

(1) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص447.

(2) الجوذري، المصدر السابق، ص76.

(3) نشيدة سليماني، المرجع السابق، ص261.

(4) ابن حمّاد، المصدر السابق، ص22.

وقد ينتهز الفاطميون الفرصة في مثل هذه المناسبات السعيدة، لاستمالة بعض العلماء والفقهاء ممن يخالفونهم في المذهب، فكانوا ربّما بعثوا إليهم ببعض الكباش للأضحية، والهدايا، وما إلى ذلك، فقد ذكر أنس عدون بن أحمد الجولاني[1] كان يقبل الأضاحي التي كان يرسلها إليه السلطان، ثمّ يقوم بدوره بتفريقها على الضعفاء، والمحتاجين من الناس"[2].

وحول قضية تهنئة الناس والرعية عامة بالعيد حفظ ابن حماد هذه الحادثة التي بقيت تقليدا من عصر الفاطميين حتى نهاية الدولة، وحتى يومنا هذا بقي الناس يهنئ بعضهم بعضا بالعيد، ويوجه الحكام تهانيهم إلى الشعوب بهذه المناسبة أيضا[3].

---

(1) هو أبو عثمان الفقيه المالكي من سكان المنستير، والملقب "بشيخ الحصون"، كانت له مداراة للملوك سعيا وراء مصالح المسلمين، كان عظيم القدر، شهير الذكر، أدرك سحنونا، ولم يأخذ عنه، كان شيخ قصر المنستير، يجتمع إليه للحراسة أحيانا نحو الأربعة ألاف، حتى خافت منه الشّيعة، انظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبها ، القاهرة ، 1930 م، ص82.

(2) المالكي، رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان و زهادهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش ومحمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1414 هـ/ 1994 م، ج 1، ص260.

(3) نشيدة سليماني، المرجع السابق، ص2261.


الخاتمة

من خلال دراستنا في هذا البحث لعهد المعزّ لدين الله الفاطمي في بلاد المغرب خلصنا إلى عدّة نتائج نلخصها كالآتي:

أولا: جاءت الدّعوة الاسماعيليّة إلى بلاد المغرب بعد تخطيط دقيق، على أساس أنها دعوة دينية تدعوا للتشيّع لآل علي بن ابي طالب τ لكن جوهرها سياسي يتمثل في الرغبة بإقامة دولة. هيأ الداعيان الأولان أبو سفيان والحلواني الأرض الخصبة لنمو المذهب الشّيعي في بلاد المغرب، ونجح الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي في تحقيق هدفه وأداء مهمته فاستغل العصبية القبلية التي كانت سائدة لدى البربر لكسب ولائهم ومساندته، فاحتضنت دعوته قبيلة كتامة التي ساهمت بكل ما هو غال ونفيس فقدمت رجالها وأموالها وأراضيها في سبيل انجاح الدّعوة وإقامة الدولة الفاطميّة سنة 296هـ بالمغرب وذلك بإعلان خلافة عبيد الله المهدي.

ثانيا: ان انتشار التمردات والإضطرابات في المنطقة ضد الفاطميين، التي انشغل بها الخلفاء الفاطميون الثلاث الأوائل (عبيد الله المهدي، القائم، المنصور) وكان أعنفها ثورة مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي الملقب بصاحب الحمار التي كادت أن تقضي على كيان الدولة الفاطميّة الفتية، ووحده الخليفة الرابع المعزّ لدّين الله (341هـ-362هـ) الذي استطاع أن يوقف عنفوان الثورات والتمردات محققا نوعا من الهدوء النسبي في المنطقة بالسياسة تارة وبالجهد العسكري تارة أخرى.

ثالثا: بلغت الدولة الفاطميّة أوجّ قوتها واتّساعها في عهد الخليفة المعزّ لدّين الله رابع خلفاء الدولة الفاطميّة بالمغرب وأولهم في مصر، حكم لمدة أربع وعشرين عاما استطاع خلالها إقامة دولة ممركزة ذات سلطة مطلقة ونظام إداري عتيد، فكان المعزّ يحكم البلاد حكما مباشرا ويفوض مختلف سلطاته الإدارية والعسكرية إلى بعض الموظفين الأوفياء المختارين من بين أوليائه الكتاميين وخدمته الصقالبة، وبالتالي كان نظام الحكم خلال فترته الإفريقية بسيطا نسبيا ومتميزا بغياب خطة الوزارة، وبالتالي بتجانسه والتفافه حول شخص الإمام الذي كان يراقب سير الدواليب الإدارية مقتصرا استخدام موظف سام للقيام بدور الوساطة بينه وبين موظفي سائر

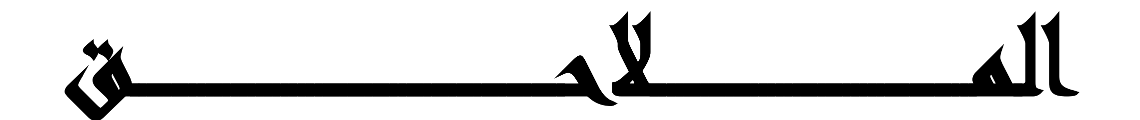
الدواوين، باعتباره مجرد أداة لتنفيذ قرارات الإمام، تجمعت بالعاصمة المنصورية جميع الأجهزة المشرفة على الشؤون الإدارية التابعة للإدارة المركزية كبيت المال والجيش والبحرية والقضاء، مع إجراء مراقبة صارمة على الإدارات الإقليمية التي تثير بعض الانتفاضات لكنها لم تزعزع السلطة المركزية بالعاصمة المنصورية.

رابعا: كان عصر المعزّ حافلا بمظاهر القوة والعزّة والعظمة، استطاع بما أوتيّ من ذكاء وحذق ومهارة في الأمور السياسية والإدارية والحربية أن يوّحد بلاد المغرب تحت رايته، وأن يحقق انتصارات على الدولة الأموية بالأندلس وعلى الروم الذين سارعوا لعقد صلح معه، بعد أن أصبحت بلادهم الساحلية تحت رحمة أسطوله واتّخذ من صقلية جسرا للعبور إليهم وإلى مصر والشام شرقاً، وبذلك حقق الوحدة الشاملة.

خامسا: وبفضل تمركز الدولة الفاطمية بالمغرب واستقرارها وتنظيم جهازها الإداري والمالي تنظيما محكما، وسير مؤسساتها سيرا دقيقا تمكن الخليفة المعزّ لدّين الله من تحقيق حلم أسلافه، فأهم وأكبر منجزاته هي فتح مصر سنة 358هـ على يد قائده جوهر الصقلي سيفه البتار في حروبه بالمغرب والمشرق على حد سواء فعلى يديه أحرزت جيوشهم انتصارات باهرة في مختلف الجبهات، ولما اطمئن على أمور بلاد المغرب واستقرار الأوضاع في مصر قرر الرحيل عن بلاد المغرب واستخلف عليها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 362هـ، فأصبحت مصر العاصمة الدينية والسياسية وفتحت صفحة جديدة في تاريخ الدولة الفاطميّة، أمّا بالنسبة لبلاد المغرب وللمرة الأولى في التاريخ أصبح رجل من صميم أهل البربر والي الدولة الإسلامية في سابقة أولى في تاريخ المنطقة، وبذلك دخل الحكم الإسلامي بالمغرب دورا جديدا، إنّه دور استقلال المغاربة (البربر) بأمور الحكم ببلادهم.

سادسا: شهد المغرب في عهد الخليفة المعزّ حياة فكرية واسعة وذلك بفضل سياسة التمدن التي أنتجت مجموعة من مراكز الإشعاع الثقافية الشّيعية والتي استقطبت مشاهير العلماء والأدباء والمفكرين الذين ساهموا في شهرة هذه المراكز كالمهدية، المنصورية، رقادة

والمسيلة، ويعد عصره من أزهى عصور الدولة الفاطمية حيث نهض بالجانب العلمي والأدبي والثقافي فأصبحت عاصمته المنصورية كعبة العلماء والشعراء وطلاب العلم والمستجيبين للدعوة الإسماعيليّة، وبذلك عاشت المنصورية عصرها الذهبي في عهد المعزّ إذ تطاولت على سائر المدن الإفريقية وزاحمت الفسطاط وقرطبة وبغداد، فصراحة يعدّ المعزّ من كبار رجال عصره فاق أقرانه ومنافسيه علما وسياسة وحرباً.


الملاحق

الملحق رقم01: خطبة الخليفة المعزّ لدّين الله في نعي والده المنصور

اقام المعزّ لدّين الله بالمنصورية إلى أن خطب بالناس خطبة عيد الأضحى من سنة احدى واربعين وثلثمائة، نعى فيها المنصور بالله صلوات الله عليه، واظهر وفاته، وجاء فيها من الحكمة بما هو اهل لذلك صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين وابنائه الاكرمين.

« ذكر اول خطبة خطب بها مولانا المعزّ لدّين الله، صلوات الله عليه، بالمنصورية، اظهر فيها وفاة المنصور بالله صلوات الله عليه، وهي خطبة العيد الأضحى، اثبتناها في هذا الكتاب من أولها إلى آخرها، على حسب ما خطب بها المعزّ لدّين الله ، لما فيها من الحكمة البالغة والفائدة الجزيلة، وبالله التوفيق، فأولها:

الله أكبر، الله أكبر، لا اله إلاّ الله، والله أكبر، الأعز الأقدر الخالق المدبر، ذو الكبرياء والجبروت، والمعزّ والملكوت، الأحد الصمد، الفرد المتفرد، الأعلى القاهر، الباطن الظاهر، الأول الأخر، مبدع السموات والأرض بالقدرة، ومالكها بالعزة، ومدبرها بالحكمة، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة، وبدائع التركيب والصنعة، الذي كل شيء من موات وحي بالدعاء إليه، والدلالة عليه، والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتحميد، فتكوينه الاشياء كلها من عدم شاهد بأن لا شيء قبله، وانتهاؤها إلى الغايات دليل على إلاّ غاية له، وإحاطته بحدودها منبئ بأن لا حد له، فالضعف والعجز والفقر والنقص الذي لم يخل منه مخلوق افصح ناطق واصدق شاهد المخالق وحده جل ثناؤه بالإلهية والفردانية والقدرة والربوبية وإلمام والكمال والانزل والدوام، تبارك الله رب العالمين، احسن كل شيء خلقه، وتكفل لكل حي رزقه، ثمهدى بالعقل الذي قامت حجته ووجبت طاعته، والكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته، فصلى الله عليهم اجمعين، وعلى مجمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره، واعلى قدره، فاكرمه بالوسيلة، واختصه بكل فضيلة، وابتهثه هاديا للصباد، ونورا في البلاد، علم به من الجهل، وهدى به من الضل، وكثر به القل، واعز به من الذل، فألف به(بعد الشتات)، ونور به دياجير الظلمات، صلوات الله عليه وعلى آله المهديين، الأخيار الطيبيين.

يا أيها الناس: إنّ الله لم يخلقكم عبثا، ولم يهملكم سدى، ولم يجعل عليكم في الدّين حرجا، ولم يضرب الذكر عنكم صفحا، للعبادة خلكم، وبطاعته وطاعة رسوله امركم، وجعل

للطاعة اعلاما منصوبة وفروضا مكتوبة، ومن افضل اعلامها واكرم ايامها يوم الحج الأكبر إلى البيتالعتيق مبوا ابراهيم الخليل الله، وقبلة محمد رسول الله صلى الله عليه، فتقربوا إلى الله بما امركم به ورزقكم اياه من بهيمة الانعام، مقتدين سنة محمدنبي الرحمة والهدى، مستشعرين الله التقوى، فان الله عز وجل يقول:" لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم" ، فبالتقوى تقبل الاعمال ويدرك الامل، وكبروا الله على ما هداكم واشكروه على ما أولاكم، إلاّ وان خير الهدى الإبل، وخير الابل إناثها، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن، وسلامة الضحايا سلامة العين والأذن، وان تكون من حلال الأموال، نسال الله لنا ولكم قبول العمل بامتنانه وبلوغ الامل من رضوان الله ورحمته وإحسانه.

وجلس في الثانية وقام وقال:

الله أكبر، الله أكبر، لا اله إلاّ الله، والله أكبر، الله أكبر شأنا وأعظم سلطانا، وأوضح ايات وبرهانا عن ان تنكر العقول توحيده، او تروم تحديده، خالق السموات والأرض، ومالكهما ومدبرهما الفرد الصمد، الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ند، الخالق القدير، الرحمن الغفور، النافذ قضاؤه، الكائن ما يشاؤه، المتقن كل شيء صنعا، الموسع كل شيء رزقا، والمحيط بكل شيء علما، احمده واستعينه واستغفره واستهديه، وأفوض إليه وأتوكل في كل الامور عليه، واشهد ان لا اله إلاّ الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا خيرته من عباده، ونجيبه من بريته، وصفوته من المتطهرين، ورسوله إلى كافة العالمين، وبعيثه بالإمامة إلى الثقلين ليبلغ حجة الرب، ويوضح محجة الحق، فادى رسالة الله ورحم ورأف بعباد الله، وصبر على الكبار من مكر الكفار إلى ان ادال الله للحق على الباطل، والهدى على الضلال محمد صلى الله عليه واله افضل الصلاة وأزكاها واكلمها وأنماها، وأخلدها وأبقاها، وعلى الائمة المهديين من عترته الكرام ، الذين اختارهم للخلافة، وارتضاهم للإمامة، وأكد بوصية الرسل حجتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم، بعد تفضيله اياهم على العالمين بأبوة محمد سيد المرسلين، وعلى افضل الوصيين، وعلى اميري المؤمنين المهدي بالله والقائم بأمر الله، سيدي الورى وإمامي الهدى، الذين أعلن الله بهما دعوة الحق، وانطق بهما الايمان والمؤمنين، وأقام بهما دعوة الدّين، وأزهق بحقهما باطل المدعين، وأكاذيب المتخرصين، وقطع بسيوفهما دابر الظالمين، صلوات الله

ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليما. اللهم اخصص الإمام الفاضل، والوصى العادل، والبر الفاضل، والغيث الوابل، ذا الايات المعجزات، والعزائم النافذات، الباذل نفسه الكريمة في حين الازل والكربات، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الارض من جبابرة الأعداء عبدك ووليك ونجيبك وصفيك ابا الطاهر المنصور بك، والمتوكل عليك، والمفوض اليك، العامل بما يرضيك ويقرب اليك ويزلف لديك، الذي فجعتنا، بفقده، واوحدتنا من بعده، وافردتنا منه واوحشتنا فقبلت دعاءه، واجبت نداءه، وجمعت بينه وبين احبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك، وان القلق وشدة الحرق عليك يا ابتاه، يا سيداه، يا اسماعيلاه، يا ابا الطهراء، يا بحر علوم الائمة الطاهرين الهداة المهديين، يا بقية ابناء الرسول، وابناء الوصى والطهارة البتول، يا امام الائمة ومفتاح باب الرحمة، يا سراج الهدى وشمس الورى، ومجلى الطخياء، يا مخصوصا من الله بتعجيل الكرامة، عظم والله علينا المصاب بك، وحل البلاء، وعدم العزاء لفقدك، وقصرت الالسن عن ادراك احصاء شماتلك، وتعداد مناقبك، ذو حق الذي اختصك بكرامته، وحباك بجزيل عطائك، وشرفك بابوة رسوله، لولا ما اوعزت إلى به واكدته على، من القيام بحق الله والذب عن امة جدك رسول الله، واستنقاذهم من غمرة الجهالة، وبحار الضلالة، ومهاوى الفتن، ومعاطب المحن، وما نقرر عندي، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله، ولائمة الهدى لضربت على وجهي سائحا في البلاد، قاليا للمهاد، راضيا ببلغة من الزاد، إلى ان يلحقنى الموت سريعا بك،فافوز بقربك، ورحمة ربك، لكني فكرت ونظرت وتدبرت فلم ار لي وجبا استوجب به درجتك واللحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب، فتجلدت، وصبر في ربي فصبرت، وغلب على البين فامسكت، فاقو لانا لله وانا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم الرحمن الرحيم، له الحمد على ما ابلى، والشكر على ما اولى.

معاشر اوليائنا، والقائلين بطاعتنا، والمتمسكين بولايتنا هذه والله المحن الشداد، المنضجة للاكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الاقدام، هذه المشاهد التي لم يالكم ائمتكم لها تثبيتا، ولم تزل راغبة إلى الله في التثبيت اقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم، ووقوع المحنة فيها عليكم، فتثبتوا تسلموا، ولاتضلوا لتندموا فلن يخلي الله ارضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحق، شاهد على الخلق، يقر به المؤمنون، ويجحده به الكافرون الضالون

الاخرسون، ان الله بحمده خلق الخلق من غير حاجة كانت منه اليهم، لكن لعبادته واظهار فضله وجوده عليهم، وجعل الحياة فيهم قوة عاملة، والموت كأسا دائرة، وما بعد الموت جزاء للعمل وبين لكم بين هذين نهج السبيل برسله المنتجبين، وبائمة الهدى المختارين، وجعل ثوابهم وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم، واضطلاعهم بامره وارشاد خلقه، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناه، ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق الخيرات باذن الله ذللك هو الفضل الكبير تبارك الله رب العالمين، الذي لم يرضى بالدنيا ثوابا للمؤمنين، ولا عقابا للكافرين. يا ايها الناس ما من حي إلاّ وهو رهين بالموت، ولا موت إلاّ وبعده نشور، ولا نشور إلاّ بحساب، فثواب والا عقاب، فطوبى لمن لقي الله متمسكا بحجزه اوليائه، معتصما بعصمتهم، قائما بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه واصفيائه، متفيئا بظلال الوية عترة سيدنا محمد رسول الله سيد المرسلين، يوم لا ينفع إلاّ الدّين، ولا ينجي إلاّ صحة اليقين، "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد"

ياايها الناس انما الاعمال بخواتمها، والجزاء من الله بحسب الوفاء لله ورسوله، ولائمة الهدى من ولد الرسول، وقد شاهدتم سيد الائمة وراعى الامة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه، وادى وديعة جده محمد لديه، وبين لكم من سننه ما ان اقتديتم به لن تضلوا، ولن تبت ايديكم من رحمة الله،ولن تعشو ابصاركم عن قصد السبيل الاقوام، والتمسك بالدليل الاعظم، وما من ولى سالف إلاّ وبعده وصى خالف قائم لله بحقه متحر ثوابه، علمل بما يرضيه حسب طاقته، ومنتهى استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، ولا يرتضى للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية امة نبيه إلاّ الافاضل الامجاد، الاحاد الافراد، ذوي الهمم العالية، والاخلاق الرضية والنفوس الابية من خالص الذرية، وقد جرت سنة الله في خلقه، ونفذ في حكمه ما لا يستطاع له جحد، ولا للقول به رد، من مواصلة الرسل لتبيين السبيل في الزمان بعد الزمان، لاعلان دينه حسب الامكان، واوجب للعباد الثواب بطاعتهم واجابة دعوتهم وقبول هدايتهم، والعقاب باسخاطهم وجحدهم وانكارهم، وليس المؤمن باولهم جاحداً اخرهم، ولا ينفع جاحد اولهم تصديق اخرهم للثواب والرحمة، من العذاب الاليم والخزي المقيم، وقد قرن الله

طاعة ائمة الهدى بطاعة الرسل، وطاعة الرسل بطاعته، فقال:" اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم " بذلك جرت عادته في الانبياء والمرسلين،" ولن تجد لسنة الله تبديلا " ، " ولن تجد لسنة الله تحويلا "، وهل لمقر نبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين اذا انكر نبوته، وهل له انتفاع باعماله او ثواب لعبادته، النور _ايها الناس_ فينا مصون، وعطاء ربك لنا غير ممنون، فاين تذهبون، وفي أي ارض تتيهون، هيهات هيهات لما توعدون فاطيعونا تهتدوا، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا، واعملوا بما تفوزون في اخراكم تسعدوا، ولا تجعلوا همتكم أكبر دنياكم، فان امير المؤمنين علي بن ابي طالب ابا الائمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال:" ان الله احل حلالا واعان عليه، وحرم حراما واغنى عنه "، فدعوا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع، فقد امرتم بالعمل، ونكفل لكم بالرزق، فلا يكون طلب المضمون لكم اولى بكم من طلب المفروض عليكم. اللهم اوزعنى شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب اليك، ويوجب المزيد من فضلك، والذخر عنك باتمام نعمتك علي في الدنيا والاخرة. اله الخلق رب العالمين، اللهم ايدني بنصرك، وافتح لي على اعدائك فتحاً تحي به الدّين، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره، وحلول داره، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا، وقد جددت لنا العز ولاوليائنا، وقد ايدتنا واياهم بالنصر، واكرمتنا بالظفر واظهرتنا على القوم الظالمين، واخضعت لنا رقاب العاصين، وقدتقدم منك الميعاد للاباء والاجداد، ولا خلف لوعدك، ولا راد لامرك، والرضا والتسليم بما قضيت، عجلت او اجلت. اللهم اجعل ما مننت به من احسانك، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك علي وعلى العباد رحمة منك، اللهم واقرن بكل عز تجدده لي ذلا تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك، فلا عز إلاّ في الخضوع والعبودية لك، ولا غنى إلاّ في الفقر اليك، ولا امن إلاّ في خوفك، ولا سعادة في الدنيا والاخرة إلاّ برضاك، يارب العالمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات واخصص اولياء دولتنا وانصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك وموالاةاوليائك ومعاداة اعدائك، وصلى الله على رسوله محمد سيد الاولين ولاخرين. اذكروا الله العظيم يذكركم» . أنظر: الجوذري، المصدر السابق، ص76 وما بعدها

الملحق رقم02: نصيحة المعزّ لعماله

دخل إلى المعزّ « رهط من كتامة، قدموا أعمالهم، وارتضى سيرتهم فيها، وهم أحداث نشئوا في دولته، ومضى آباؤهم وأجدادهم في أيام الأئمة الطاهرين من قبله، فأثنى عليهم خيرا، وقال: أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضا والمحبة، لاستفزتكم المسرة، وما نعرض عمن نعرض عنه منكم، ونعاقب من نعاقبه، إلاّ تأديباْ وتقويماْ، لكي يزدادوا من الفضل والخير.

ولو علم آباؤكم ومن مضى (من) أسلافكم، قبل أن يموتوا ما لحقهم فيكم من بعدهم، لتمنوا الموت في أيام حياتهم، لما تطيب به أنفسهم لكم من بعدهم، إذ كانوا في دون ما انتم فيه في أيامنا، وان كان الأئمة لم يتركوا في الإحسان إليهم، فلم يبلغوا معهم ما بلغتم اليوم معنا، ولكل زمان حال توجبها الحكمة، ويجرى فيها بالعقوبة والرحمة. إنا والله إن قتلناكم، فما نريد إلاّ الحياة الدائمة, إذا وجب تطهيركم بالقتل في العاجلة، وان عاقبناكم بدون ذلك، حنقا فما نعاقبكم عليكم، ولا مقتا وبغضا لكم، ولكنا نفعل ذلك بأيدينا تطهيرا لكم، وان عفونا عنكم وأحسنا إليكم، فنحن أهل العفو والإحسان، فانتم والله معنا في كل الأحوال، وعلى جميع الأمور، كيفما تصرفتم، وجرى تدبيرنا فيكم، على سبيل نجاة وخير، وسلامة وغبطة، فاعرفوا حقنا وفضلنا، وسلموا لحكمنا وأمرنا، ولا ترتابوا فينا، ولا تشكوا فينا نأنيه ونذره من أمركم، كيفما جرت الأحوال بكم معنا، تسلم صدوركم، وتظفروا بحظكم وآخرتكم.

فشكروا له بما قدروا عليه، وقبلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن يا أمير المؤمنين عبيدك وصنائعك، والمعترفون بفضلك، فما أصبناه بتقويمك وتأديبك، وما أخطأنا فيه، فنحن نرجو فيه رأفتك ورحمتك، فقال عم: يعصمكم الله من الخطأ بتأديبنا وتقويمنا، إذ لا نرى لأحد منكم ذلة إلاّ نبهناه، رلا غفلة إلاّ أيقظناه، ولا تخلفا إلاّ حركناه، ولا تقصيرا إلاّ وعظناه، فليس يهلك مع هذا إلاّ الشقي الذي غلبت عليه شقوته، والله يعيذكم من الشقوة بولايتنا وجميل رأينا فيكم إن شاء الله تعإلى »

حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف، المعزّ لدّين الله، المرجع السابق،ص321-322.

الملحق رقم 03: رسالة الخليفة المعزّ لدّين الله الفاطمي إلى أبى الحسن على الإخشيد، يطلب إليه إنجاد مسلمى إقريطش

قال المعزّ: «إن الله سبحانه قد خَوَّلنا من فضله وأمدّنا من معونته وتأييده، بما نرى، بحوله وقوته، ونصره لنا وإظهارنا على عدونا، أنا نكفّ أيدى الكفرة، عما تطاولت إليه من حرب هذا الصُّقع والإيقاع بأهله. وقد انتهى إلينا أنك أظهرت الحركة إلى الجهاد، وإمداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك.

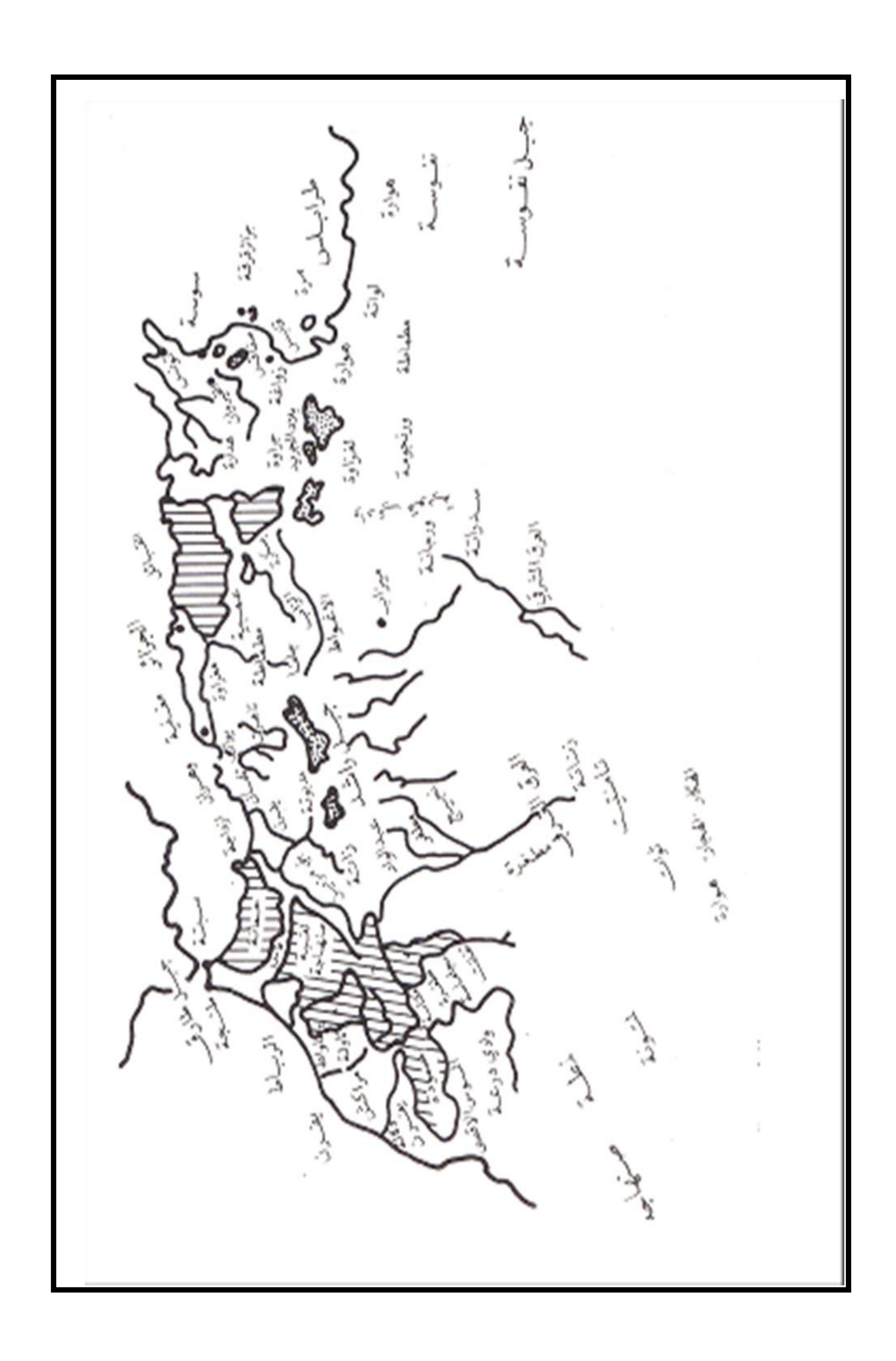
وأنت لعمرى بذلك أجدر لقربهم منك، واتصالهم بك، وميرتهم بلدك، وكونهم وإياك فى دعوة واحدة. ولو أسلمناهم إليك، وقعدنا عنهم، لما كان لك ولا لهم علينا حجة فى ذلك.[ولكنا آثرنا نصرة أمة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم نر التخلف عن ذلك. وقد رجونا له، وألقوا بأنفسهم إلينا فيه، ونحن لا نحول بينك وبين الجهاد فى سبيل الله، ولا نمنعك من تمام ما أملت منه. فلا يكن ما يتصل بك من إنقاذ أساطيلنا يَريثك عن الذى هممت به من ذلك، وأن تخشى على تبعث به وعلى مراكبك منا. فلك علينا عهد الله وميثاقه، أنا لا نكون معهم إلاّ بسبيل الخير، وأنا نحلهم محل رجالنا، ونجعل أيديهم مع أيدينا، ونشركهم فيما أفاء الله علينا، ونقيمهم فى ذلك وغيره مقام رجالنا، ومراكبك مقام أساطيلنا، حتى يفتح لنا إن شاء الله، ثم ينصرفوا إليك على ذلك، أو يكون من أمر الله وقضائه ما هو فاعله. فاعلم ذلك، وثق به منا، ففى ذلك تظافر المسلمين على عدوهم، واجتماع كلمتهم، وإعزاز لدّين الله، وكبت لأعدائه، فقد سهلنا لك السبيل، والله على ما نقول وكيل]. فإن وثقت بذلك، ورأيت إيثار الجهاد، فاعمل على أن تنفذ مراكبك إلى مرسى «طبنة» من أرض برقة، لقرب هذا المرسى من جزيرة إقريطش، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى فى مستهل ربيع الآخر (سنة ٣٥٠هـ) بتوفيق الله وقوته وتأييده، ونصره وعونه، وإلا تر ذلك، فقد أبلغنا فى المعذرة إليك والنصيحة لك، وخرجنا مما علينا إليك.

ونحن بحول الله وقوته، وتأييده ونصره وعونه، مستغنون عنك وعن غيرك، وعلى عزم وبصيرة فى إنقاذ أساطيلنا ورجالنا وعُدتنا، وما خولنا الله إياه وأقدرنا عليه، مما نرى (أننا) بحوله

وقوته نبلغ به ما نؤم إليه بذلك، ونصمد نحوه. فبالله نستعين، وعليه نتوكل، وعلى تأييده نعول، وهو حسبنا ونعم الوكيل »

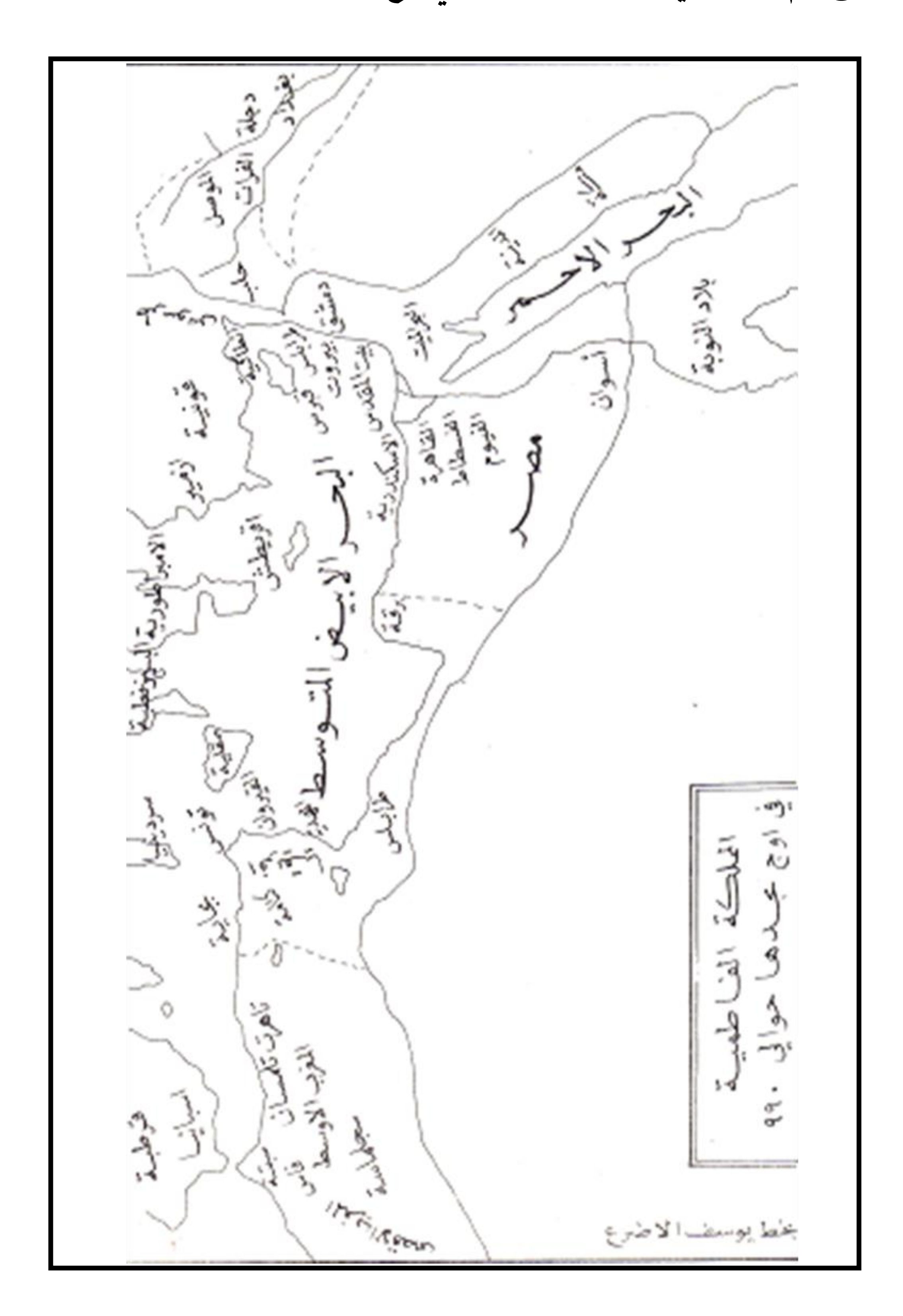
قاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق،ص445-446.

الملحق رقم 04: خريطة توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب العربي(نقلا عن ابن خلدون)



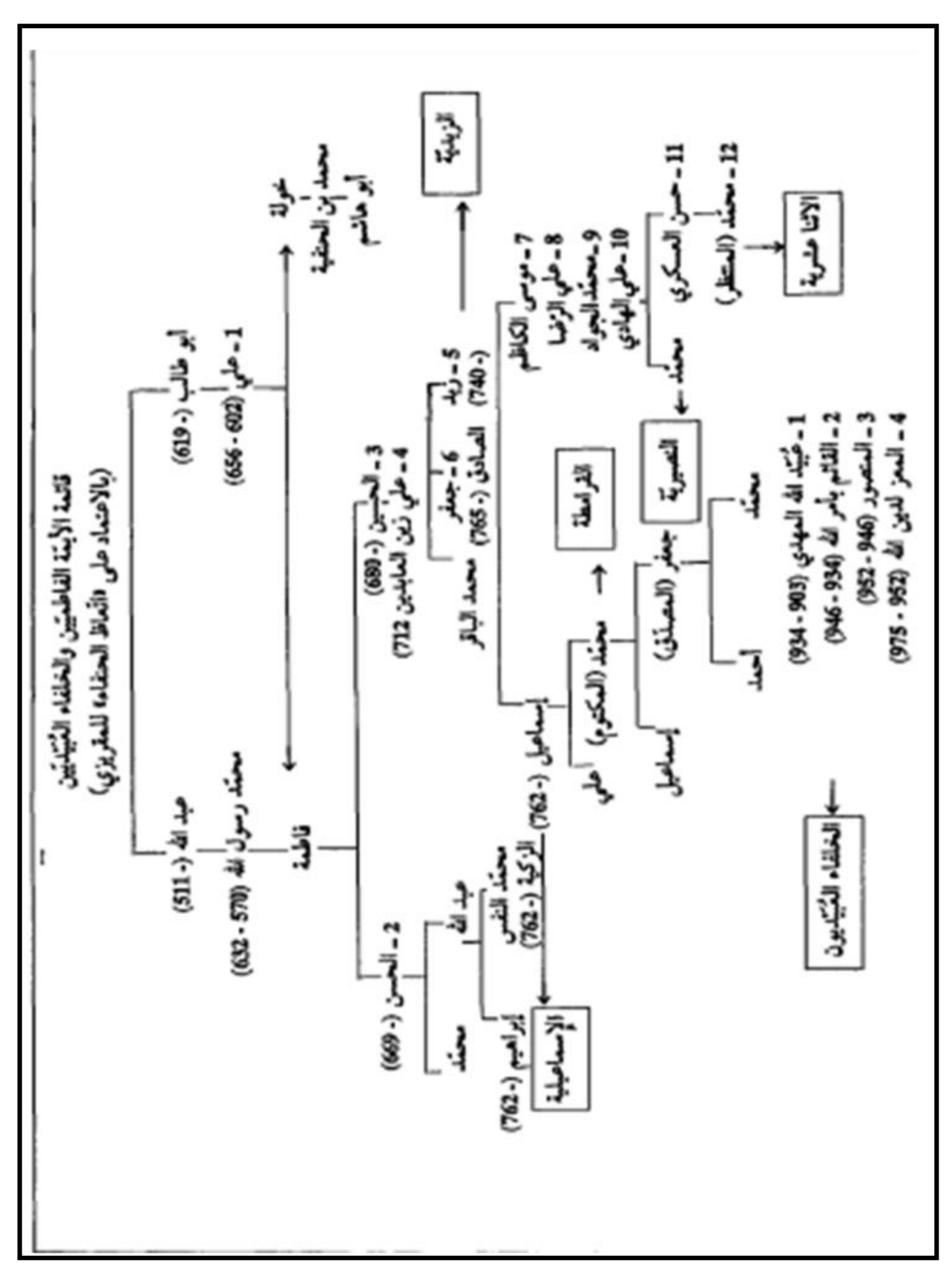
ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص130.

الملحق رقم 05: خريطة الدولة الفاطمية في أوج توسعها



ابن حّماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص131.

الملحق رقم 06: قائمة الأئمة الفاطميين من علي بن أبي طالب إلى غاية المعزّ (بالنسبة للفاطميين)



فرحات الدشراوي، المرجع السابق، 77


البيبليوغرافيا

* **القرآن الكريم**

أولا المصادر:

* ابن الأبار، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبارت(658هـ/1260م):

1)**التكملة لكتاب الصّلة**، نشره: ابن أبي شنب، مطبعة فونتانة الشرقيّة، الجزائر، 1957م.

2)**الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1985م، ج 1، ج2.

* ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد، المعروف بابن الأثير الجزرى (ت 630هـ/1232م):

3)**الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ج4، ج6، ج7، ج8.

* ادريس عماد الدّين الدّاعي القرشى، بن الحسن بن عبدالله بن على بن محمّد بن حاتم (ت 872هـ/1488هـ):

4)**عيون الأخبار وفنون الآثار**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1984م، السبع الخامس، السادس.

5)**تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من عيون الأخبار**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1985م.

6)**زهر المعاني**، تحقيق: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991م

* الادريسي محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (ت 560هـ/1165م):

7)**المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في القرن السادس هجري الثاني عشر هجري**، حققه ونقله إلى الفرنسية محمّد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

8)**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، ج1.

* ابن أصبعة، أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668هـ):

9)**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، المطبعة الوهبية، ط 1، د ت.

* ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 797هـ/1377م)

10) **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، مطبعة مصطفى محمّد، القاهرة، 1938م، ج1.

* البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي الاسفراني التميمي (ت 429هـ/1037م):

11) **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط 1954، ج1، ج2.

12) **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمّد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م.

* البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد الاوبني (ت 487هـ/1094م):

13) **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزأ من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د ت.

* التجاني، أبو عبد الله بن محمّد بن أحمد (ت 706هـ/1306م):

14) **رحلة التجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1958.

* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ /1469م):

15) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العمية، ط1992،1م، ج4.

* الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (ت بعد 386هـ/996م):

16) **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين**، تقديم وتحقيق: محمّد كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د ت.

* ابن حزم، أبو محمّد على بن أحمد الأندلسى (ت 456 هـ):

17) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح: محمّد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2 ،1996م، ج5.

* ابن حمّاد، أبو عبد الله محمّد بن علي الصنهاجي (ت 626هـ /1230م):

18) **أخبار ملوك بني عبيّد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق:جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984م.

* الحمّادي اليمني (عاش أواسط القرن الخامس الهجري):

19) **كشف أسرار الباطنيّة وأخبار القرامطة**، مركز الدّراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، ط 1، 1994م.

* الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (626هـ/1228م):

20) **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط 1995،2م، ج2، 3، 4، 5.

* الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 727هـ/1327م):

21) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1994،2م.

* ابن حوقل، أبو القاسم النّصيبي(عاش بعد 367هـ/977م):

22) **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

* الحميدي، أبو عبد الله بن محمد بن ابي النصر (ت 488هـ/1095م):

23) **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1983،2م، ج1.

* ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت في حدود سنة 300هـ/912م):

24) **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه: محمّد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1988،1م.

* الخشني، أبو عبد الله محمّد بن الحارث القيرواني ثمّ القرطبي (ت 364هـ/975م):

25) **طبقات علماء إفريقية**، تقديم وتحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1993،1م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ /1405م):

26) **تاريخ ابن خلدون**- المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 2000م، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7.

27) **المقدمة**، دار الفكر، بيروت، د ط،2002م.

* ابن خلّكان، أبو العباس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان (ت 681هـ/1282م):

28) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ج2، ج4، ج5.

* الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ):

29) **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث، الجزائر1974م، ج1.

* ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم القيرواني(كان حياً سنة1092هـ/1681م):

30) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تحقيق: محمّد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1286هـ/1976م.

* الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ/1348م):

31) **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ج 1، 2.

* ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت 741هـ/1340م):

32) **الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،** دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

* أبو زكريا، يحي بن أبي بكر (ت 471هـ/1078م)

33) **سيّر الأئمة وأخبارهم**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1948،3م.

* السيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1504م):

34) **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة وسعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م.

* الشهرستاني محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح (ت 584هـ/1153م):

35) **الملل والنحل (ط. العلمية)**، المحقق: أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلمية، ط 2،1413 هـ - 1992م، مج 1.

* ابن أبي الضياف (ت 1291هـ/1874م):

36) **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، المطبعة الرسمية ، تونس، 1963م، ج1.

* ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري(ت 257هـ/870م):

37) **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق وتقديم: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.

* ابن عذارى المراكشي ، أبو عبد الله محمّد بن محمّد (المتوفى نحو 695هـ):

38) **البيان في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان ، ط3،1983م، ج1، ج2.

* الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت 832هـ/1428م)

39) **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1956م، ج1.

* أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م):

40) **المختصر في أخبار البشر**، علق عليه ووضع حواشيه: محمّد ديوب، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1،1979.

* القاضي النعمان، بن محمّد(ت 363 هـ/974م):

41) **المجالس والمسايرات**، تحقيق: إبراهيم شبوح والحبيب الفقي ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، 1978م.

42) **إفتتاح الدّعوة**، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1986،2م.

* القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت544هـ/1149م):

43) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: أحمد بيكر محمود، مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه، بيروت 1967م، مج2، ج3.

* ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن عليّ بن محمّد التميمي(ت555هـ/1160م):

44) **تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

* القلقشندي أبو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/1430م):

45) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط1،دت، ج3.

* ابن كثير إسماعيل بن عمر(ت 774هـ/1372م):

46) **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ /1990م، ج11

* الكرماني، حميد الدّين(ت 408هـ /1007م):

47) **راحة العقل**، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط 1983،2.

* المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله(ت 484 هـ/ 1091 م):

48) **رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان و زهادهم وفضائلهم وأوصافهم،** تحقيق: بشير بكوش ومحمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط 1414،2هـ/1994م، ج1.

* المقريزي، تقيّ الدّين أحمد بن عليّ(ت 845هـ/1441م):

49) **المقفّى الكبير،** تحقيق: محمّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1987.

50) **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،** المحقق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م، ج1.

51) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،** تحقيق: محمّد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998م، ج1، ج2، ج3.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم(ت711هـ/1311م):

52) **لسان العرب،** دار صادر، 2003م

* مؤلف مجهول (حي سنة 712هـ/1312م):

53) **مفاخر البربر،** تحقيق:عبد القادر بوباية، دار ابي رقراق، الرباط، ط 1،2005م.

* مؤلف مجهول:

54) **العلوم والحدائق في أخبار الحقائق،** عنيا بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: عمر السعيدي، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، 1972م، ج4.

* النويري أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي(ت 733هـ/1333م):

55) **نهاية الأرب في فنون الأدب،** تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمة كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

* ابن هانئ الأندلسي أبو القاسم محمد الأزدي (ت 362هـ/973م):

56) **ديوان ابن هانئ**، دار صادر، بيروت، 1964م.

* اليماني محمّد بن محمّد (كان حيا في أواخر القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي):

57) **سيرة الحاجب جعفر**، نشر ايفانوف، مجلس كلية الاداب، الجامعة المصرية، القاهرة، 1936م، ج1.

ثانيا المراجع:

أ. **كتب مطبوعة:**

01) ابن جلجل (ابي داود سليمان): **طبقات الأطباء و الحكماء**، تحقيق: فؤاد السيد، دار الكتب المصرية، مصر، ط 2، 1405هـ/1985 م.

02) إدريس (الهادي روجر): **الدّولة الصنهاجيّة**، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

03) ارسلان (شكيب): **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات: دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ج1.

04) الأعظمي (محمّد حسن): **عبقرية الفاطميين"اضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين**"، منشورات دار مكتبة الحياة، مصر، دون تاريخ.

05) أيمن (السيد فؤاد): **الدّولة الفاطميّة بمصر"تفسير جديد**"، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1992،1م.

06) بحاز (إبراهيم بكير): **الدّولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م)**، دراسات في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبوعات لافوميك، الجزائر، 1985م.

07) بدوي (احمد احمد): **الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار النهضة، القاهرة، ط2، دت.

08) بن عميرة (محمّد): **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

09) بونار (رابح): **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، دت.

10) بيضون (إبراهيم): **الدّولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92هـ-422هـ/711م-1031م)**، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1980م.

11) تامر (عارف): **القائم والمنصور الفاطميان**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1982م.

12) : **المعزّ لدين الله الفاطمي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1405هـ/1986م.

13) جاستون (فييت): **القاهرة "مدينة الفن والتجارة"**، ترجمة: الدكتور مصطفى العبادي، نشر بالاشتراك فلرنكلين للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك، 1968م.

14) الجمل (شوقي عطا الله): **الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا**، مركز وثائق مصر المعاصر، 1988م.

15) جورجي (زيدان): **تاريخ التمدن الإسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967م، ج1.

16) حسن (إبراهيم حسن) وشرف (طه أحمد): **المعزّ لدين الله**، القاهرة، ط 2، 1963م.

17) حسن (إبراهيم حسن): **عبيد الله المهديّ (بالاشتراك مع طه أحمد شرف)**، مكتبة النهضة المصريّة، د ت.

18) : **تاريخ الدّولة الفاطميّة بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب**، مصر، ط3، 1964م.

19) : **تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط15، 2001م.

20) حسن (علي إبراهيم): **مصر في العصور الوسطى "من الفتح العربي إلى الفتح العثماني"**، مكتبة النهضة، القاهرة، 1947م.

21) : **تاريخ الإسلامي العام**، مكتبة الانجلوا المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959م.

22) : **تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي**، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، 1963.

23) حسين (محمّد كامل): **طائفة الاسماعيليّة "تاريخها، نظمها وعقائدها"**، مكتبة النهضة المصريّة، ط1، 1959م.

24) أبو حفص (زين الدين عمر الوردي): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الوهابية، ط 1، 1854م.

25) حوالة (أحمد يوسف): **الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح حتى القرن الخامس الهجري(90/450هـ)**، جامعة أم القرى، 2000م.

26) خطاب (محمود شيت): **المغرب العربي**، دار الفكر، ط1، 1966م.

27) الدشراوي (فرحات): **الخلافة الفاطميّة بالمغرب**، تعريب حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.

28) الدفاع (علي بن عبد الله): **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، مكتبة التوبة، السعودية، 1989م

29) ديورانت (ول وايريل): **قصة الحضارة (عصر الإيمان)**، ترجمة: محمّد بدران، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، د ت، مج4، ج2.

30) الرافعي (مصطفى): **حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1960م.

31) الزركلي(خير الدين): **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ج2، ج7.

32) الزياني (أبو القاسم)، **الترجمانة الكبرى**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، طبعة الرباط، 1967م

33) الزيلعي (احمد عمر)، **مكة وعلاقاتها الخارجية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2005م

34) الزين (محمّد خليل): **تاريخ الفرق الإسلامية**، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ/1985م.

35) سالم (السيد عبد العزيز): **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د ط، 2008م.

36) سرور (جمال الدين): **النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة**، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1959م.

37) ــــــــــــــــــــــــــــــــ: **سياسة الفاطميين الخارجية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976م.

38) ــــــــــــــــــــــــــــــــ: **تاريخ الدّولة الفاطميّة**، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 1995م.

39) سعد زغلول (عبد الحميد): **تاريخ المغرب العربي"تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين"**، الإسكندرية، مصر، منشأة المعارف، 1398هـ/ 1978م.

40) شارل اندريه (جوليان): **تاريخ إفريقيا**، ترجمة: طلعت عوضي إباضة، مراجعة: عبد المنعم ماجد، دار النهضة، القاهرة، 1968م.

41) الشرقي (منيرة بنت عبد الرحمن): **علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين(العاشر والحادي عشر الميلاديين)"دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية"**، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2002م.

42) طقوش (محمد سهيل): **تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام 297-567هـ**، دار النفائس، بيروت، ط 2، 2007م.

43) عادلة (علي الحمد): **قيام الدّولة الفاطميّة ببلاد المغرب**، دار مطابع المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1400هـ/ 1980م.

44) العبادي (عبد الحميد): **المجمل في تاريخ الأندلس**، جمع مادته ونسقها: إبراهيم الشريف، راجعه: مختار العبادي، مطبعة دار القلم، القاهرة، ط2، 1964م.

45) عبد الوهاب (حسن حسني): **ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقية التونسية**، مكتبة المنار، تونس، 1972 م.

46) ــــــــــــــــــــــــــــــــ: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الجنوب، تونس، 1994م.

47) العربي (إسماعيل): **دولة بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية، الجزائر، دط، 1980م.

48) عمار الحاج (صالح): **المغرب العربي من خلال خلافة المعزّ لدين الله "341هـ-362هـ/952م-971م"**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004م، ج1.

49) عنان (محمّد عبد الله): **دولة الإسلام في الأندلس**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1960م.

50) : **الحاكم بأمر الله وأسرار الدّعوة الفاطميّة**، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي بالرياض، ط 3، 1983م.

51) غالب (مصطفى): **تاريخ الدّعوة الاسماعيليّة**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 2، دت.

52) لقبال (موسى): **دور الكتامة في تاريخ الدّولة الفاطميّة منذ تأسيسها إلى منتصف القرن خمسة هجري الموافق إحدى عشر ميلادي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

53) ماجد (عبد المنعم): **الحاكم بأمر الله "الخليفة المفترى عليه"**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982م.

54) محمّد دياب (صابر): **سياسة الدّولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري إلى نهاية الفاطميين**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1973م.

55) مخلوف (محمد بن محمد): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، 1930 م.

56) مرمول (محمّد الصالح): **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

57) مسعد (سامية مصطفى): **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000م.

58) المعاضدي (خاشع): **الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي(359-567هـ/969-1171م)**، دار الحرية، بغداد، ط1، 1976م.

59) : **تاريخ الدّولة العربية في الأندلس (92هـ-897هـ/711م-1492م)**، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988م.

60) مؤنس (حسين): **تاريخ المغرب العربي وحضارته**، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، ط 1، 1996م.

61) ميتز (ادم): **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م،ج1، ج2.

62) اليعلاوي (محمّد): **ابن هانئ المغربي الأندلسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

ب.الموسوعات ودوائر المعارف:

01) الامين(حسن): **دائرة المعارف الاسلامية الشّيعية**، بيروت، ط2، 1978م، ج4.

02) شاكر (مصطفى): **موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ج1.

03) العفيفي (عبد الحكيم): **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، الأوراق الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1421 هـ / 2000 م.

ج. **الدوريات والحوليات:**

01) الإمام (رشاد): **عبيد الله ومشكلة النسب الفاطمي،** المجلّة التونسيّة للعلوم الاجتماعيّة، العدد 40 إلى 43، 1957م.

02) شعبان (محمّد عبد الحي): **لماذا أقام الفاطميون دولتهم في إفريقية ونقلوها إلى مصر،** ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطميّة، الدورة الثانية، المهدية، من4-7 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس.

د. **الأطاريح الجامعيّة :**

01) بوراس (رفيق): **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والأثار بطلية اتلعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م.

02) رافعي (نشيدة): **الحياة الفكريّة والثقافيّة في المغرب في العصر الفاطمي 296 - 362هـ،** رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ بكلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر، 2002- 2003 م.

03) سليماني (نشيدة): **ابن حماد الصنهاجي واخبار ملوك بني عبيد دراسة نقدبة وتحقيق جديد،** رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الاسلامي، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، مارس 1979

04) عامر (علي فيصل عبد النبي): **السياسة الخارجية للخلافة الفاطميّة (358هـ-427هـ/968م-1035م)،** رسالة مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الكوفة بالعراق سنة2007م.

هـ. المراجع الاجنبية:

01) André julien Charles, **histoire de l'Afrique du nord**, des origines a1830, paris, édition Payot, 1951-1969-1994.

02) Basse.R t, **Encyclopédie de l'islam**, GpMaisonneuve, paris, 1975, p544 .

03) Canard. M, **La vie de lustad jawdar**, Alger, 1958

04) Dachraoui (Farhat), **Le califat fatimide au Maghreb296-362/909-973**, histoire politique et Institutions, Tunis, 1981.

* **Encyclopédie de L'islam**, G-p. Maison neuve, Paris, 1975.

05) Colin .G.S, Art: Sidjilmasa, EI, Paris, 1934, t4

06) Honigmann. E, Art : Alramla, EI, Paris, 1936, t3

07) Idris. H.R ,Art : Buluggin, EI, Paris, 1960, t1

08) Kramers .J.H, Art : Salamia, EI, Paris, 1934, t4

09) Marcais .G, Art : Fatimides, EI, Paris, 1964, t2

10) Marcais. G , Art : Zirides, EI, Paris, 1934,t4

11) Yver .G, Art : Kastiliya,EI, Paris, 1927, t2

12) Yver .G, Art : Zab, EI, Paris, 1936, t3


الفهـــــــــــارس

1. فهرس الأعلام

- أ -

- ب -

- ت -

- ز -

- س -

- ش -

- ط -

- ع -

- ن -

2. فهرس الاماكن

- أ -

- ب -

3. فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

- أ -

- ب -

4. فهرس الموضوعـــــــات